الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليـم العالـي والبحث العلـمي

جامعة عبد الحميد بن باديس _ مستغانـم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية

مـذكـرة مكـمـلة لـنـيل شـهـادة الـمـاسـتر فـي الأدب الـعـربـي

تـخـصـص: لـــسـانـيات عـربـــيـــة

العلامة اللغوية بين التراث العربي والدرس اللساني الحديث

دي سوسير وابن جني أنموذجا

من إعداد الطالبتين:

* حمودي فايزة

* شاشو فضيلة

إشـراف الدكـتـورة:

* د. زيـار فـوزية

لـجـنـة الـمـنـاقـشـة:

* الأستاذ (ة): رئيسا

* الأستاذ (ة): مشرفا مقررا

* الأستاذ (ة): عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2020 - 2021

قال تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي

مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل

لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا 80﴾

سورة الإسراء: 80

إهداء

إلى من قال فيهم المولى تبارك وتعالى بعد بسم الله الرحمان الرحيم:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ بِهِ

عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية 8

إلى التي عرفت من بحرها أسمى معاني الوجود، وترعرعت بين حنان يديها،

أغلى ما ينطق به لساني أمي الغالية

إلى من يعجز اللسان عن شكره ودعمه المتواصل لي ، إلى رمز الرجولة،

وإلى من تعلمت منه معنى الحكمة أبي العزيز

إلى إخوتي وأحبائي وزملائي وأصدقائي وكل فرد من العائلة كبيرا وصغيرا

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تخليل ما وجهناه من صعوبات.

ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة "زيار فوزية" الذي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث،

إلى من شاركتني في مذكرة لإنجاز هذا العمل " شاشو فضيلة"

حمودي فايزة

إهداء

بكثير من الفخر والاعتزاز أهدي ثمرة جهدي، إلى أعز من يملكه القلب في هذه الدنيا والتي قال عنها الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)﴾

سورة النحل الآية: 78

إلى أمي الغالية، إلى من تعلمت منه الحكمة أبي رحمه الله وجعله من أهل الجنة، إلى إخوتي، إلى كل أفراد عائلتي كبيراً وصغيراً، إلى كل المعلمين والأساتذة في مشواري الدراسي، إلى كل من علمني حرفا من الأبجدية إلى الجامعة، إلى رفيقتي في هذه المذكرة التي تقاسمنا معاً جهود إنجاز المذكرة حمودي فايزة، إلى كافة الأصدقاء والزملاء، والأحبة، إلى كل طلبة قسم اللغة العربية وإلى خريجي دفعة 2020.

** شاشو فضيلة**

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله العلي الكبير مدبر الأمر كله، نشكره ونثني عليه، الحمد لله منَّ علينا بفضله وجوده وكرمه، على أن وفقنا لكتابة هذه المذكرة في صورتها وشكلها النهائي.

نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير والاحترام إلى أستاذتي المشرفة ***الدكتورة:زيار فوزية*** الذي قدمت لنا يد العون والمساعدة ووجهتنا أحسن توجيه ولم تبخل علينا بمعلوماتها، وقومت هذا البحث بالنصائح والإرشادات القيمة من أجل إخراجه في أحسن صورة. فلك منا جزيل الشكر كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربيةوآدابها.

*حمودي فايزة- شاشو فضيلة *

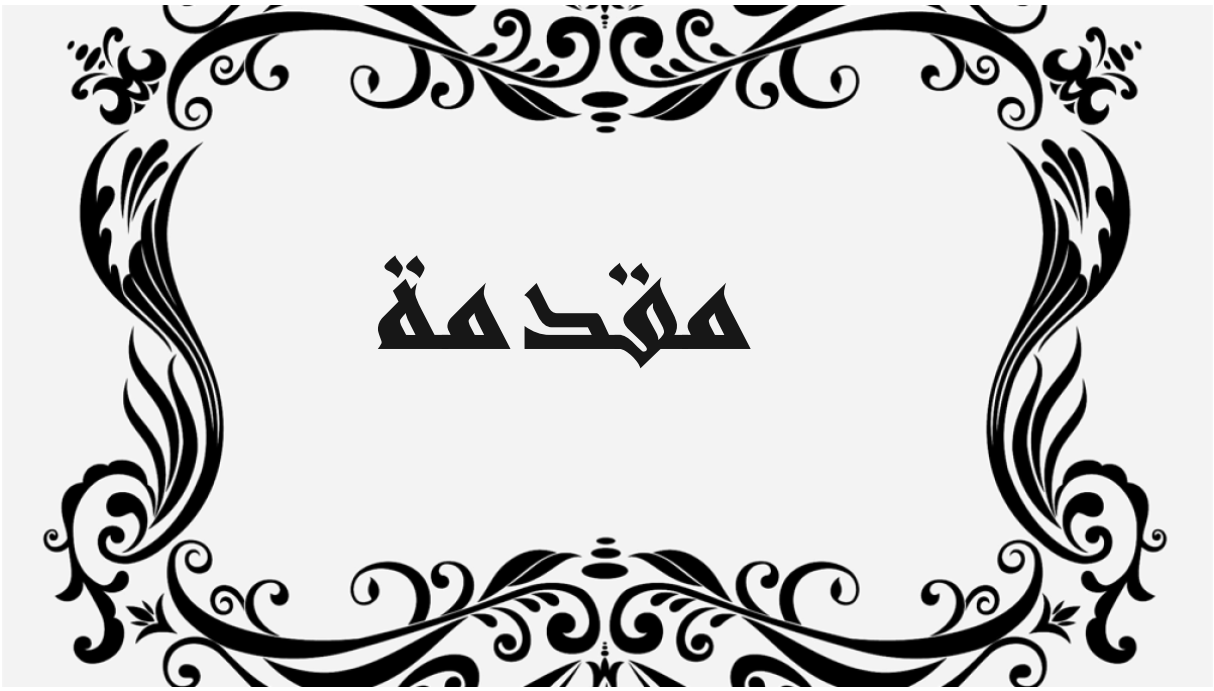
مقدمة

مـقـدمـة:

نحمد الله سبحانه وتعالى على كل ما وهبنا من نعم بدءا بنعمة الإسلام العظيمة، التي لا مثيل لها والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى خلفائه الراشدين وأصحابه وكل من سلك الرشاد إلى يوم الدين أما بعد:

إن محاولة التأسيس لفكرة العلامة اللغوية لم تقم إلا في أوائل القرن العشرين على يد العالم الألسني الشهير فرديناند دي سوسير فظهرت كفكرة ذات أسس وقواعد راسخة نمت أصولها وترعرعت في ظل الدراسات اللسانية الحديثة، إلا إننا يمكن أن نجد لفكرة العلامة اللغوية أصولا وجذورا واضحة في التراث اللغوي العربي، فهذا التراث لا يخلو من مثل تلك المسائل، إذا عُني العرب بالعلامة اللغوية والعلاقة بين الدال والمدلول والذي كان يمتزج بضروب من المعارف المختلفة دون أن يحمل عنوانا مميزا له مستقلا في موضوعاته ومعاييره الخاصة وهو ما وجدناه عند ابن جني من خلال اسهاماته المختلفة في دراسات المسائل المتعلقة بقضايا اللفظ والمعنى، بالإضافة إلى العديد من القضايا التي تخص علم الدلالة. كل هذا كان حافزا لنا لنطرق هذا الموضوع ونحاول التأصيل للبحث اللساني العربي من خلال كتاب الخصائص لابن جني وعليه جاء موضوعنا موسوما بـ:

العلامة اللغوية بين التراث العربي والدرس اللساني الحديث دي سوسير وابن جني أنموذجا

وبدا لنا في بادئ الأمر تناول مسألة العلامة بين التراث العربي واللسانيات الحديثة واسعا جدا، فارتأينا بمعونة الأستاذة المشرفة تحديده بين ابن جني و دي سوسير، وسبب هذا الحصر هو أن ابن جني يعدمن أوائل علماء اللغة الذين حاولوا دراسة مسائل اللغة ونظامها ولعل كتاب الخصائص من أهم مصادر التي عنيت بتفسير اللغة ومستوياتها واعتبارها كلا متكاملا انطلاقا من قضايا اللفظ والمعنى، ثم أن الكثير من الباحثين العرب يشيرون إلى أسبقيته في البحث اللغوي عند العرب ويتخذونه أنموذجا لتأصيل الدرس اللساني العربي على غرار عبده الراجحي، وإميل بديع يعقوب، وفاضل صالح السامرائي...، أما اختيارنا لدي سوسير فلأنه رائد اللسانيات الحديثة وإليه يعود الفضل في بلورة المنهج الوصفي لدراسة اللغة

وبيان نظامها، بوصفها نظاما من العلامات تربط بين دال ومدلول وكان هذا السبق فاتحة للكثير من الدراسات اللسانية التي أغنت الساحة وطورت من البحث اللغوي، فكان المهم في هذا البحث هو العمل على المقاربة بين توجهين في دراسة اللغة دون تعسف والجنوح في كثير من الأحيان إلى المقارنة ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال الآتي: هل يمكن للنظريات اللسانية الحديثة احتواء التراث العربي وفهمه؟، وإذا سلمنا بذلك ما مدى مصداقية هذه النتائج حينما تطبق على التراث العربي نظرا لخصوصية اللغة العربية وطبيعتها المغايرة للغات الغربية؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

ما حدود التقاطع بين العلامة عند ابن جني والعلامة عند دي سوسير؟، وكيف نظر ابن جني لقضايا اللفظ والمعنى؟، وهل يمكن المقابلة بين الدال والمدلول في البحث اللساني من جهة، واللفظ والمعنى في التراث العربي من جهة أخرى؟

وللإحاطة بكافة هذه المسائل تقاسم متن البحث العناصر الآتية:

مدخل الموسوم بـ "مصطلحات ومفاهيم": حاولنا فيه تحديد بعض المصطلحات كالعلامة، والإشارة والرمز وبيان الفرق بينها، ليتمكن القارئ من أخذ فكرة شاملة حول المضمون.

وأما الفصل الأول فجاء بعنوان "العلامة اللغوية عند دي سوسير"، تناولنا في المبحث الأول نبذة عن حياة دي سوسير، ثم تناول بالشرح والتحليل مفهوم الدليل اللغوي. ثم مفهوم العلاقة الاعتباطية وأخيرا إبراز أهم الاعتراضات التي أنكرت. أما الفصل الثاني فجاء بعنوان "مباحث العلامة اللغوية في كتاب الخصائص عند ابن جني " تناول في المبحثين الأول والثاني تقديما لابن جني وكتابه الخصائص ثم عرضا لأهم المسائل اللغوية المتعلقة بالعلامة اللغوية وخصائصها.

ثم خاتمة حوت أهم النتائج المتحصل عليها، ومن أهم المصادر والمراجع التي أعانتنا لإتمام رسالتنا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب فرديناند دي سوسير "محاضرات في الألسنية العامة" ، وكتاب "الخصائص" لابن جني وكذا "مباحث في اللسانيات" لأحمد حساني.

واتبعنا في كل ذلك المنهج التحليلي الوصفي في إطار المقاربة بين العلامة في بعديها التراثي العربي واللساني الغربي.

وقد اعترضت سبيل انجاز البحث جملة من الصعوبات نذكر منها:

الظروف التي تمر بها البلاد المتعلقة بجائحة كورونا وصعوبة التواصل والولوج إلى المكتبات.

صعوبة التعامل مع الكتاب الأصلي لدي سوسير باللغة الفرنسية، وكذا الترجمات لهذا الكتاب ما بين اعتماد الترجمة العراقية للباحث يوئيل يوسف عزيز، أو الترجمة التونسية للباحث صالح قرمادي، لننتهي في الأخير إلى اعتمادهما معا لأنهما سهلتا علينا الكثير من الأمور في البحث، ومنهجية العمل.

وفي الختام نحمد الله ونشكره على توقيفه لنا ونشكر أستاذتنا المشرفة على توجيهاتها السديدة لإنجاز البحث، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا وما قصدنا من ذلك.

مستغانم في: 2020/06/01

حمودي فايزة، شاشو فضيلة

مدخل

تمهيد:

تواتر مفهوم العلامة أو الدليل اللغوي في الكتب التي عنيت بتحليل اللغة والتنظير لها وإن اختلفت المسميات ما بين العلامة، الرمز، الإشارة فهل ثمة مفهوم واحد أم أنها مفاهيم متباينة؟

أولا- العلامة والإشارة والرمز مفهوم واحد أم مفاهيم متعددة :

1- العلامة signe

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: العلم: الشقّ في الشفّة العليا للبعير، رجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة يعلمها هو، والعلم الشيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة[1] وورد مفهوم العلامة في القرآن الكريم في آية عدة منها قوله تعالى:﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [2]، وقوله تعالى:﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[3] بمعنى الهداية والإرشاد.

والعلامة "signe" باللغة الفرنسية مأخوذة في أصلها الاشتقاقي من الكلمة اللاتينية "signum " وتعني الإشارة أو الرمز أو كل ما يسمح بالمعرفة، والتوقع والتنبؤ أو هي حركة أو إيماء يسمح بالتعرف على شيء ما.[4]
فالعلامة في لسان العرب تفيد معنى التدليل إذ نجد أن العلم شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة والمعلم هو الأثر الذي يستدل به على الطريق فالجذر اللغوي للعلامة (علم) يؤكد الارتباط الدلالي بين العلامة، العلم، العالم، في كل المعاجم العربية.

---

[1] ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، ج 5، مادة (علم)، ص 419.
[2] سورة الرحمن الآية: 24
[3] سورة النحل الآية:16
[4] نصيرة عيسى مبارك، فلسفة العلامة عند رولان بارت، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية الأدب والعلوم الإنسانية قسم الفلسفة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010 م، 2011م، ص 7.

ب- اصطلاحا:

العلامة كما ورد في المعجم اللغوي الفرنسي "hachette" هي كل شيء يكون بمثابة إشارة تدل على شيء آخر بحيث تُذكِر به وتعلن عنه كالحمى التي تعتبر عادة علامة على المرض أو هي كل ما يستعمل اصطلاحا بغرض التمثيل والإشارة والعلامة كما ورد تعريفها في المعجم الإنجليزي "أوكسفورد" oxford مأخوذة عن الكلمة اللاتينية "signum" وتعني حدثا أو فعلا أو ظاهرة تشير إلى وجود شيء ما أو حدوثه أو إمكانية حدوثه في المستقبل وهي مرادفة للإشارة[1].

2- الإشارة signal

أ- لغة:

جاء في لسان العرب أشر الأسنان التحزيز الذي فيها يكون خلفة ومستعملا وأشر المنجل أسنانه والتأشيرة ما تعضُّ به الجرادة والتأشير شَوْكُ ساقيها وفي الحديث: "أنه قال لرجل أشار بسبابتيه في التشهد أحدْ أحدْ"[2]، ومعنى هذا إذا أشار الرجل بأصبعه بالدعاء أي التشهد، وفي أساس البلاغة للزمخشري يضاف على ما جاء في اللسان "ومن المجاز: وصْفُ البرق بالأشر إذا تردّد في لمعانه "[3] وورد مفهوم الإشارة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [4]

يلاحظ من هذا الغرض أن الشوك في ساقي الجرادة هي أثار أو علامة طبيعية أما التحزيز في الأسنان وأسنان المنجل فهي مستحدثات اصطناعية وهو ما يوافق ما اصطلح عليه في تعريف الإشارة signal بأنها علامة طبيعية أو صناعية تعمل

[1] نصيرة عيسى مبارك، فلسفة العلامة عند رولان بارت، المرجع السابق، ص 7.
[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص 21، ص 22، ص 23، وينظر: ج4، ص 70.
[3] الزمخشري(أبو القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، د.ت، د.ط، ص 17 .
[4] سورة مريم الآية: 28

على إثارة المستقبل وهي علامة يتم إنتاجها إراديا لتكون مؤشرًا مثل صفارة الإنذار واستعمال الإشارة الضوئية في السيارة للتنبيه إلى أن السائق سينحرف يسارًا أو يمينا. [1]

ب-اصطلاحا:

يعرف كل من سيزا قاسم وأحمد الإدريسي الإشارة بوصفها: كل مقول يتم إنجازه داخل مقام يحدد إحداثيات زمانية ومكانية فالمتكلم يشير أثناء عملية القول إلى المشاركين في عملية التواصل وإلى مكان وزمان إنتاجه وإن الإحالات إلى هذه المقامات تشكل الإشارة اللغوية فهي طريقة خاصة في ربط الحدث بزمن إنتاجه وهي تستعمل الحركات (الإشارات اللفظية) على السواء فالإشارة أو العرض تتطابق مع الحركة اللفظية كالتطابق بين "خذ" تصاحبها حركة أو "خذ هذا" [2].

فمثلا تواجد شخص بقرية ريفية وسماعه صوت شخص يسوق دابته قائلا له احذر احذر فيصبح لفظ "احذر" مؤشرًا دلاليا من أجل لفت انتباه الرجل وتجنب الاصطدام به، فنتيجة هذا الصوت هي التأثير في المستمع ومحاولة إزاحته عن الطريق، ليفسح له مجال المرور فهو إذن إشارة؛ لأن القصد منه جعل الرجل في علاقة واقعية بالنسبة للدابة التي تدنو منه وتقترب. وأيضا على سبيل المثال مقياس الضغط الجوي المنخفض والمناخ الرطب الذي تخبر عنه مصلحة الأخبار الجوية في التلفاز إشارة على أن المطر سيسقط وإنتاج الطاقة الشمسية هي مؤشر على مجرى الرياح واتجاهها.

---

[1] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار إلياس المصرية، د.ط، ص 346 .

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

3- الرمز symbole

أ- لغة:

الرَمزُ تَصويت خفي باللسان كالهمس تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما إشارة بالشفتين، وقيل الرمز إشارة إيماء بالعين والحاجبين والشفتين والفم[1]، وجاء ذكر الرمز في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

ويوسع الزمخشري مفهوم الرمز فيجعل الغمز باليد والهمز بالعين واللمز بالفم والرمز بالحاجبين والشفتين رمزا ويمثل لذلك بقوله" جارية غمّازة بيدها همّازة بعينيها لمازة بفمها رمَّازة بحاجبيها..." [3] للدلالة على أن الرمز قد يتسع مفهومه ويكون باستخدام أعضاء الجسم وحتى بتعابير الوجه.

ب-اصطلاحا:

يعرفه أندري لالاند "André Lalande" في معجمه الفلسفي بأنّه " كل علامة ملموسة توحي بمقتضى علاقة طبيعية بشيء غائب أو لا يمكن إدراكه حسيا ومن ذلك أنَّ الصولجان رمز الملكية[4]

فالرمز كما جاء في معجم المصطلحات الأدبية هو " شيء يعتبر ممثلا لشيء آخر، وبعبارة أكثر تخصيصا فإن الرمز كلمة أو عبارة أو تعبير آخر يمتلك مركبا من المعاني المترابطة، وبهذا المعنى ينظر إلى الرمز باعتباره يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء يرمز إليه كائن ما كان مثلا العلم قطعة من القماش يرمز

---

[1] ابن منضور، لسان العرب، مادة (رمز)،ج5، المرجع السابق، ص 357.
[2] سورة آل عمران الآية: 41
[3] الزمخشري، أساس البلاغة، المرجع السابق، ص 251.
[4] أندري لا لاند، موســـوعة لالاند الفلســـفية، تح: خليل أحمد خليل، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2، 2002، م، ص 1398.

إلى الوطن والصليب يرمز إلى المسيحية كما استخدم الكثير من الشعراء الوردة البيضاء رمزا للصبا والجمال [1].

فالرمز إذن كل إشارة أو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر من ذلك الكلب رمز للوفاء والحمامة البيضاء رمز للسلام فهو ترجمة ذاتية لقريحة الإنسان فيعبر عنه بالإيحاء.

وانطلاقا من هذه التعريفات وما سبق تقديمه يمكن أن نستخلص مفاهيم للعلامة كما هي واردة في المعاجم الأجنبية أو المعاجم العربية وإن كانت تختلف في بعض التفسيرات فإنها تتفق جميعا في تعريف العلامة بأنها أي شيء يقوم مقام شيء آخر للدلالة عليه أو تمثيله أما الإشارة مرتبطة بالشيء الذي تشير إليه على نحو ثابت وكل إشارة واحدة ملموسة تشير إلى شيء واحد معين مثل الملابس الخاصة بالشرطة إشارة وليست رمزا أما الرمز فيوحي بأكثر من شيء واحد فهو متحرك ومتنقل ومتنوع فقد تتعدد مدلولات الرمز بتعدد السياقات التي يرد فيها وبالتالي هو أوسع من الإشارة في التعبير والإيحاء .

من هنا العلامة والإشارة والرمز كلها مفاهيم مختلفة ومكمن الاختلاف بينهما هو طبيعة العلاقة التي تربطهما كمدلولات مع الموضوع الذي تحيل إليه.

[1] إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، تونس، 1986 م، ص 171.

الفصل الأول :

العلامة اللغوية عند دي سوسير

يعتبر دي سوسير De Saussure بمثابة أب المدرسة البنيوية في علم اللسانيات فيما عدّه كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث، اتجه بفكره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانت اللغات حينها تدرس دراسة تاريخية، وكان السبب في هذا التحول في دراسة اللغة اكتشاف اللغة السنسكريتية.

1- نبذة عن حياة دي سوسير:

فرديناند دي سوسيرFerdinand de Saussure (1857-1913) أشهر لغوي في العصر الحديث ولد في جنيف عام 1857 من أسرة مشهورة بالعلم والأدب، درس في جامعات جنيف ولايبزك وبرلين حصل على درجة الدكتورة من لايبزك عام 1880م، عمل مدرسا في مدرسة الدراسات العليا في باريس (1881-1891)، ثم أستاذ للغات الهندية والأوروبية والسنسكريتية (1091-1913) ثم أستاذ لعلم اللغة العام في عام 1907م في جامعة جنيف، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته 1913.

لا تعتمد منزلته العالية على النشر، بل على المدرسة اللغوية التي أسّسها ولم يكتب بنفسه إلا كتابا واحدا حين كان في الحادية والعشرين من عمره سماه mémoire sur le système primitif de voyelles dans les langues indo-européennes نشر في باريس 1878.

ولكن أشهر وأهم كتاب هو مؤلفه:"Cours de linguistique générale" كتاب علم اللغة العام وهو مجموعة من المحاضرات جمعها اثنان من طلبته: شارل بالي Charles Bally وألبرت سيشهاي Albert sechehaye ظهرت الطبعة الأولى منذ حوالي عام 1916م والطبعة الثانية فكانت عام 1922[1].

اشتهر كتابه لا بسبب محتواه، ولكن بسبب المنهج المبتكر الذي طبقه سوسير في مناقشة الظواهر اللغوية. وكان مفهومه الرئيسي، هو أنه يمكن تحليل اللغة كنظام من العلامات، ويعد دي سوسير أول من اعتبر اللسانيات فرعا من علم أشمل يدرس الإشارات.

[1] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تحقيق يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، دار أفاق العربية، بغداد 1985، ص3.

اقترح دي سوسير تسميته السيميولوجيا la sémiologie، ويعرف حاليا بالسيميوتيك la sémiotique أو علم الإشارات[1]

2-الدليل اللغوي (العلامة اللغوية):

يعد بعض الناس اللغة في جوهرها عملية لتسمية الأشياء ليس إلا، أي أنها قائمة من الألفاظ كل لفظة تدل على الشيء الذي تسميه ولو أخذنا على سبيل المثال دليلاً لسانياً من نحو" شجرة" "فرس"، فما أن ننطق بهذا اللفظ أو نسمعه حتّى تحصل في الذهن صورة مفترضة للشجرة والفرس، بغضّ النظر عن نوعه وشكله ولونه. وفي المقابل وبالنسبة إلى المتكلّم ما إن يفكّر في كلمة "شجرة" أو "فرس" حتى يجري على لسانه طبيعيًّا. ولو غيّرنا من باب الافتراض أحد حروف هذا الدليل، فسوف تتغير الصورة الراسخة في الذهن.

فرس

شجرة

إلا أن هذا الرأي لقي عدة انتقادات لعل منها أنه يزعم أن الأفكار معدة مسبقا وموجودة قبل الكلمات، كما أنه لا يخبرنا هل أن الاسم في طبيعته صوتي أم نفسي مثلا يمكن النظر إلى الشجرة من هاتين الناحيتين، ثم إنه يجعلنا نعتقد ربط التسمية بالشيء عملية بسيطة وهذا الاعتقاد بعيد عن الصحة ومع ذلك فإن هذا الرأي البسيط يمكن أن يقربنا من الحقيقة، إذا وضح لنا أن الوحدة اللغوية هي كيان ثنائي يتألف من الربط بين عنصرين.[2]

---

[1] علم العلامات (السميوتيك): علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، سواء أكانت طبيعية أم صناعية .وتُعدّ اللسانيات جزءا من السيميائيات التي تدرس العلامات أو الأدلة اللغوية وغير اللغوية، في حين أن اللسانيات لا تدرس سوى الأدلة أو العلامات اللغوية، ومن الروّاد المُؤسّسين لهذا العلم، هناك فرديناند دي سوسير وشارل ساندرز بيرس، كما أن من أبرز من ساهموا في السيميائيات هناك كل من فلاديمير بروب ولويس خورخي پريتو وأومبيرتو إكو وألخيرداس جوليان غريماس وتشارلز موريس ورولان بارت وتوماس سيبوك.

[2] فرينانند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تح: صالح القرمادي، دار العربية للكتاب، د.ط، 1985، ص 109.

فالعلامة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتيةl'image acoustique وليس بين الشيء والتسمية ولا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية، بل هي الأثر النفسي للصوت الذي تصوره لنا الحواس إذن فالصورة الصوتية هي حسية لها علاقة بالحواس.

إن الطبيعة النفسية للصورة الصوتية تصبح واضحة عند ملاحظة لساننا فنحن نستطيع أن نتكلم إلى أنفسنا أو نتلو في ذهننا قصيدة من غير أن نحرك شفاهنا ولما كنا نعد الكلمات الموجودة في لغتنا صورًا صوتية وجب تجنب استخدام لفظة الفونيمات التي تتألف منها الكلمات فهذه اللفظة التي توحي بفاعلية صوتية لا يصح استخدامها إلا عند الحديث عن الكلمة المنطوقة أي عند إخراج الصورة الداخلية إلى الواقع في الحديث ويمكن تجنب اللبس باستخدام أصوات الكلمة ومقاطعها شرط أن نتذكر أن الأسماء تشير إلى الصورة الصوتية.[1]

فالعلامة اللغوية إذن هي كيان نفسي لها جانبان يمكن التعبير عنها بالرسم الاتي:[2]

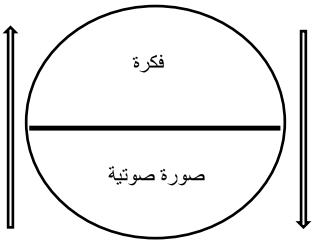

وخلاصة القول إن الدليل اللغوي هو ربط بين التصور والصورة الصوتية وتميز سوسير في علم العلامة يكمن في أنه نهض بكل المفاهيم الحالية للعلامات وفي الوقت الذي فهم فيه العلامة على أنها حصيلة الاتحاد بين ثنائية الدال والمدلول إلا أنه حاول أن يخرج عن النطاق الضيق للعلامة الذي حددت به من قبل فأطلق مفهوم الدليل على معنى جديد ينتظم مجموع شيئين متلازمين هما الفكرة ما يشار إليه عادة بالدال والصورة الذهنية للأصوات أو ما يعرف عند الأخرين بالمدلول.

[1] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، المصدر السابق ، ص 84.
[2] نفسه، ص 85.

3-الدال والمدلول عند دي سوسير:

إن طبيعة المنهج العلمي الذي تبناه دي سوسير في مجال البحث اللساني أفرز رؤية تعامليه تميل إلى الشيء المحدد والمتجانس في ذاته فكانت فكرة النظام اللساني système linguistique الذي يتكون من مجموعة من الوحدات الأساسية هذه الوحدات متوافقة فيما بينها تسمى بالعلامات اللسانية signes linguistique من هنا فإن العلامة في نظر دي سوسير توحد بين مفهوم concept وصورة سمعية image acoustique أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية لا بين شيء واسم ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الصورة السمعية ليست الأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية وإنما هي البصمة النفسية للصوت فمثلا كلمة رجل هي علامة لسانية مكونة من صورة سمعية وهو الإدراك النفسي لتتابع الأصوات (ر، ج، ل) ومفهوم هو مجموع السمات الدلالية باعتبار الإنسان (كائنًا حيًا، ،ناطقا، عاقلا، إنسانا، ذكرا،).[1]

إن التتابع الصوتي إذا أخذ على حدة لا يمكنه أن يكون علامة لسانية مستقلة فما هو إلا ترتيب لأصوات مجردة ليس إلا، كما أن السمات الدلالية التي تكون مفهوم الرجل لا تشكل علامة لسانية بمفردها، إذن العلامة اللسانية تقتضي الاتحاد التام بين الصورة السمعية والمفهوم فالعلامة وفق تصور دي سوسير هي كيان نفسي ذو وجهين دال ومدلول ويمكن لنا تمثيله بالشكل الآتي:[2]

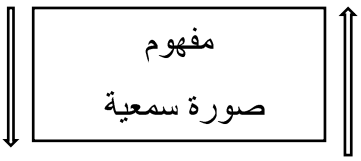

يعتبر سوسير العلامة وحدة ثنائية المبني تتكون من وجهين يشبهان وجه الورقة الواحدة ولا يمكن الفصل بينهما هما:

أولا- الدال: وهو عند دي سوسير حقيقة نفسية أو صورة سمعية تحدثها في دماغ المستمع سلسلة الأصوات التي تلتقطها أذنه وتستدعي إلى ذهن هذا المستمع صورة ذهنية أو مفهوم.[3]

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ط2، 1434ه-2013م، ص 35.

[2] نفسه، ص 35.

[3] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 19.

ثانيا- المدلول: ويعني صورة الذهنية التي تستدعيها السلسلة في الأصوات الملتقطة وتنشأ دلالة العلامة من عملية الربط بين الدال والمدلول سواء كان الدال حقيقة مادية أو نفسية، فإذا التقطت الأذن سلسلة الأصوات لا تثير في الذهن فلا يتم توليد دلالة ما ولا يمكن اعتبار سلسلة الأصوات هذه جزء من علامة فتظل مجرد ضوضاء.

إن قضية الدلالة قضية معقدة ومتشيعة غير أن سوسير لم يتوقف في كتابه دروس في علم اللغة العام طويلا حول تحديد المدلول، ويجب نشير إلى أن هذه الدروس لم تكتمل على يد دي سوسير نفسه، ولكنها جمعت في مذكرات طلابه ولعل هذا السبب الذي جعل تحديد المدلول عنده مقابل للمفهوم أو التصور، ومن هنا يمكن القول بنوع من الحذر إن المدلول عند دي سوسير هو المعنى العام المجرد وقد ينظر إلى هذا المعنى من حيث أنه يدل على مجموع أفراد الجنس والمنطلق الثاني هو تضمنه لمجموع الصفات المشتركة (بين جميع الأشجار مثلا).[1]

ومما سبق ذكره فعلامة اللغوية عند دي سوسيرDe Saussure كيان ذو وجهين لا يمكن أن نستغني عن أحدهما فصورة الصوتية (الدال) تكمل الصورة الذهنية (المدلول) والعكس صحيح فالدال يثير في العقل والمدلول لشيء موجود في الواقع فالعلامة اللسانية عنده لا توحد بين الاسم والشيء ولكن توحد بين المفهوم والصورة السمعية.

4 – اعتباطية العلامة: caractère arbitraire du signe linguistique

يمثل مبدأ الاعتباطية arbitraire حجر الزاوية بالنسبة إلى تصور دي سوسير De.Saussur للظاهرة اللسانية، صاغ سوسير نظرية حول العلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول ورأى ما يربط بينهما علاقة اعتباطية، وهكذا فإن المتصور الذهني "أخْتٌ" لا تربطه أية علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالية الهمزة والضمة والخاء والتاء والتنوين الذي يقوم له دالا ومن الممكن أن تمثله أية مجموعة أخرى من الأصوات ويؤيد ذلك ما يوجد بين اللغات من فوارق في تسمية الأشياء بل واختلاف اللغات نفسه. فمدلول بقرة دالة بقرة (الباء، الفتحة، القاف، فتحة ...) واعتباطية الدليل مبدأ لم ينازع فيه أحد، لكن غالبًا ما يكون اكتشاف حقيقة من الحقائق أقل

[1] سيزا قاسم ونصرحامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 20.

عناء من احلالها المحل الذي يليق بها. ويسطر المبدأ السابق على جميع ألسنية اللغة ونتائجه لا تحصى بيد أن هذه النتائج ليست جميعها واضحة للوهلة الأولى إذا لا يكتشفها المرء إلا بعد عدة محاولات وعند ذلك يمكنه أن يدرك الأهمية الجوهرية لهذا المبدأ، إن الدلائل المتصفة بالاعتباطية التامة تؤدي أحسن من غيرها العملية الدلالية في أمثل صورة لها ولذلك كانت اللغة وهي أكثر أنظمة التعبير تعقدًا وأوسعها انتشارا هي أيضا أشدّها تمثيلا للخصائص الدلالية.[1] فالاعتباطية عند سوسير مبدأ جذري ذو أهمية عالية لا يتم على مستوى العلاقة بين الصوت والمعنى إنما على مستوى الشكل فهي تدعي الربط بين التصور والصورة الصوتية ليس مسببًا وهذه العلاقة غير المسببة هي التي تحميها من التغيرات المفاجئة والعنيفة، وسوسير لا يعني بالاعتباطية هنا الاعتباطية المطلقة أي أحقية كل شخص أن يطلق ما يحلو له من الدوال على المدلولات فهذا ما لم يدعُ إليه بل إنه كان يقصد الاعتباطية المقيدة[2] قال: "ثم كلمة اعتباطي تستوجب كذلك إبداء ملاحظة فلا ينبغي أن يفهم منها أنَّ الدال خاضع لمحض اختيار المتكلم، إنما تعني أنَّ الدال أمر غير مبرر أي إنه اعتباطي بالنسبة للمدلول وليس له به أي رابط طبيعي موجود في الواقع"[3].

إن اعتباطية الدليل اللغوي تعد خاصية مؤقتة إذ أنه طالما خلق الرمز فإن ما يستثيره يصبح شيئًا محددًا دقيقًا نتيجة للبنية الطبيعية للذهن من ناحية ولعلاقته بمجموعة الرموز من ناحية أخرى. والاعتباطية ليست بحكم العادة فقط بل هي أيضاً ربط ملازم لكل أعضاء الجماعة اللغوية المعينة بين الدال والمدلول.

ومن جهة أخرى من البحث في العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول نجد سوسير الذي يلح على مسألة الاعتباطية، يعود ليقرر بوجود العلاقة الطبيعية، يقول " فالرمز يتميز بكونه ليس اعتباطياً تاماً، فهو ليس خاوياً بل نجد فيه شيئاً طفيفاً من الربط بين الدَّال والمدلول"[4]. وعلى الرغم من إقرار سوسير بمبدأ المحاكاة الطبيعية إلا أنَّه يذهب إلى هذا المبدأ لا يصلح لتفسير جميع كلمات اللغة، بل إنَّه يقتصر على

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدر السابق، ص 112.
[2] هدى صـــلاح رشـــيد، ملامح فكرة العلامة اللغوية في التراث اللغوي العربي الإســـلامي، مجلة العلوم الإسلامية، العدد24، 2007، ص 147.
[3] سوسير، المصدر سابق، ص 113.
[4] نفسه، صفحة نفسها.

محدود منها، فيقول: " أمّا الكلمات المحاكية للصوت الحقيقية مثل غر-غر،-tic tac فليست قليلة العدد فحسب بل إن اختيارها أمر اعتباطي بمقدار. إذ أنَّها ليست سوى محاكاة تقريبية، ومن ثمة شبه تواضعية لبعض الأصوات مثلا مقارنة في العربية لمحاكاة صوت الكلب في العربية (هب هب) وقولهم في الفرنسية (أوَا أوَا ouaoua) والألمانية (وَاوْ وَاوْ wauwau)"، ثم يعلل لرأيه هذا بأنَّ عامل التغير الصوتي بتأثير الزمن سيُفقِد الكلمة العلاقة الطبيعية فتصبح تلك العلاقة غير اعتباطية يقول " وذلك أنها بعد دخولها في اللغة يجرها تيار التطور الصوتي والصرفي وإن كثيرا... وهذا دليل قاطع على كونها قد فقدت بعض الشيء من طابعها الأول فاكتست طابع الدليل اللغوي بالمعنى العام الذي يختص بكونه غير مبرر"[1].

ما نستنتجه في الأخير أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية والاعتباطية في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يبرر الإحالة من دال ومدلول فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلنا ننتقل أليا إلى مدلول فسوسير لا يدافع عن الاعتباطية ولا ينكر الطبيعية، بل يرى أنَّ الكلمات التي لا يمكن أنْ نفسرها وفق نظرية المحاكاة عددها قليل إلى الحد الذي لا يمكن عدّها من المحتوى المحوري الحقيقي للعلامة اللغوية وأن هذه العلاقة الأخيرة سرعان ما تتحول إلى اعتباطية بتأثير عامل التطور. بالتالي لو كانت العلاقة بينهما مبررة لاستحال ذلك بدليل اختلاف اللغات في تسمية نفس المسميات.

4-الطبيعة الخطية للدال:

المبدأ الثاني الذي يحكم العلامة اللغوية بعد مبدأ الاعتباطية هو صفة الدال الخطية، تلك الصفة التي لم ينتبه إليها اللسانين رغم دورها المحوري في انتظام اللسان.

ولما كان الدال ذا طبيعة سمعية فإنه يجري في الزمن وحده وله بالتالي خصائص الزمن:

أ-يمثل امتدادا (فترة زمنية)،

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدر السابق، ص 114.

ب-ويمكن أن نقيس هذا الامتداد من حيث بعد واحد هو الخط.[1]

وهذا المبدأ بديهي لكن يبدو أن الدارسين قد أهملوا ذكره دائما اعتقادا منهم بدون شك بأنه مبدأ بسيط مفرط في البساطة ومع ذلك فهو مبدأ أساسي لا تحصى نتائجه، فأهميته تضاهي أهمية الصفة الأولى إذ أن عمل اللغة بأكمله يعتمد عليه. ويختلف الدال السمعي عن الدال البصري في أن الدال البصري (كإشارات الملاحة مثلا) يوفر امكانية قيام مجموعات على عدة ابعاد في آن واحد في حين أن الدال السمعي له بعد واحد وهو البعد الزمني وعناصر الدال السمعي تظهر على التعاقب فهي تؤلف سلسلة وتتضح هذه الخاصية عندما نعبر عن الدال كتابة، فيحل الخط المكاني لعلامات الكتابة محل التعاقب الزمني.[2]

بمعنى أن الركيزة المادية للعلامة اللغوية هي الصوت فإنه عند إحداث الصوت تتسلسل عبر الزمن في خط واحد فمثلا كلمة (خرج) من خلال نطقها تأتي حروفها متسلسلة (خ+ ر+ ج)، وإذا ما غيرنا في تسلسل هذه الحروف (ج+ ر+ ح) فإن هذا يؤدي حتمًا إلى تغير المعنى.

إذن المبدأ الخطي إجباري، فاللغة تمر عبر خط معين وبالتالي فاللغة ليست مجموعة وحدات وإنما بنية على الأقل تشكل خطا (مجموعة من الخطوط المتتالية) وكل ترتيب يشكل خطا من الخطوط، فالسلسلة الخطية مهمة وعلينا أن نستغلها في تركيب أفكارنا.

5-ثبوت العلامة اللغوية وتغييرها:

أ - ثبوت العلامة:

إن وصف العلامة اللغوية بالتغيير والثبوت في آن واحد من قبل دي سوسير قد يبدو أمرا متناقضا، ولكنه أراد بهاذين النقيضين أن يؤكد على أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها.

[1] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، المصدر سابق، ص 89.
[2] نفسه، صفحة نفسها.

فالعلامات عادة ما تميل إلى الثبوت يقول سوسير في هذا الشأن " إن الدال مع كونه يبدو وكأنه قد اختير بحرية كاملة ليمثل الفكرة التي يعبر عنها ثابت وليس حرًا بالنسبة للمجتمع اللغوي الذي يستخدمه وليس لجماهير الناس رأي في الموضوع فالدال الذي تختاره اللغة لا يمكن استبداله بغيره..."[1] فإذا كان اختيار الدال يتم بحرية مطلقة بالنسبة إلى المفهوم فهو ليس ذلك بالنسبة للجماعة التي تستعمله في كل زمن ذلك أن الدال يمثل جزء من مجموع ما يرثه الفرد وينتقل من جيل لأخر حيث يصعب على الأفراد فلكل مجتمع من المجتمعات السائدة لغته الخاصة والمستعملة من طرف الجماعة المتكلمة.

يقول دي سوسير " من الواقع ليس هنا من مجتمع إلا ويعرف اللغة وأنها نتاج إرث الأجيال السابقة كما لابد من تناولها بما هي عليه"[2] فاللغة ملك لمجموع الجماعة التي تستعمله، ولكن هذه اللغة تتحقق فعلا عن طريق العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد فتؤدي إلى التواصل وتحقيق الكلام الفردي بين بني البشر والكلام الذي ينطق به الأفراد بالفعل ينسجم من حيث المبدأ ومع المعايير التي تفرضها اللغة على المجتمع وكما عرفنا سابقا أن العلامة اللغوية اعتباطية فإن الحالات التي تطرأ على اللغة إلا نتاج عوامل تاريخية هذه العوامل لها تفسيرات عن ثبوت العلامة اللغوية وذلك بوضع تفسيرات لذلك فهو بإمكانه أن يعدل في القوانين القائمة والموروثة من وقت إلى آخر فهذا الطرح يقودنا إلى أن نضع اللغة في واقعها الاجتماعي، يقودنا هذا الاعتراض إلى وضع اللغة في إطارها الاجتماعي وإلى طرح المسألة كما تطرح بالنسبة إلى سائر المؤسسات الاجتماعية.[3] فهو يرى بتقدير ما تتمتع به هذه المؤسسات من حرية ذلك أن للمجتمع حرية العمل فيها ولا يقصد أن الحرية قائمة بالفعل في السلوك اللغوي بدليل أن اللغة عنده ثابتة وليس للفرد إزاءها أي إرادة واعية في تغييرها وإنما هي حرية مبدئية تنشأ من فكرة الاعتباطية ذاتها ذلك أن الاتفاق الاعتباطي الذي يقوم على انتقاء العلامة السببية بين الدال والمدلول يقتضي الاختيار الحر الذي لا تتصور له وجودًا إلا عند وضع العلامة في منشئها قبل أن تكون مستعملة بين الناس ومن الحجج التي قدمها دي سوسير

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدر السابق، ص 114.
[2] نفسه، ص 117.
[3] نفسه، صفحة نفسها.

للإجابة عما قاله هو أن تغير اللغة لا علاقة له بتعاقب الأجيال جيل عن جيل، ذلك أن الأجيال لا تتراكم بعضها على بعض، بل هي متداخلة متشابكة وكل جيل يتضمن أفراد تتفاوت أعمارهم لذلك يستحيل تغير اللغة لأنها تلقن للطفل في كل طور من حياته ومنهم من يرى عدم فهم الناس لقوانين اللغة التي يتكلمون بها ويستعملونها في حياتهم اليومية ينفي القدرة لديهم على تغييرها لهذا نجد أن لكل شعب لغته الخاصة به والتي تلقاها[1].

يرى دي سوسير أن كل ما سبق ذكره هام لكنه ليس ملائما للمقام الذي بصدد دراسته فهو يفصل مسائل أخرى يرى بأنها الأصوب إلى ما هو بدراسته ويشمل:

أ- اعتباطية العلامة (الدليل):

اعتباطية العلامة اللغوية تجعل اللغة في أمان من كل تغيير يطرأ عليها ومهما كانت درجة وعي الإنسان بقوانينها، فإنه يبقى عاجزًا عن مناقشة تلك القوانين وتفسيرها.

ب- وفرة الدلائل اللازمة لتكوين أية لغة من اللغات:

يرى دي سوسير في هذا الجانب أن اللغة تتكون من عدة أنظمة كتابية تحتوي على عدة دلالات تكفي لإنشاء لغات عديدة يقول: " فأنت تستطيع على أقصى تقدير إن شئت أن تعوض نظاماً من أنظمة الكتابة يتكون من ثلاثين أو أربعين حرفاً بنظام آخر ولو كانت اللغة محدّدة العناصر لأمكنك أن تعالجها نفس المعالجة لكن الدلائل اللغوية لا يحصرها عدّ " من قوله نستطيع القول إن الملكة اللغوية يمتلكها الإنسان تكفيه قدر المستطاع أن يستبدل نظاماً كلاميا إلى نظام أوسع وأشمل، ومحاولة تفسير هذين النظامين، ومعالجتها دون المساس في دلالات اللغة الواسعة[2].

ج- تشعب النظام اللغوي تشعبا مفرطا:

بما أن اللغة نظام من العلامات والرموز، من هذا يتبين أنها ليست اعتباطية تماماً ذلك أنها متفاوتة الاستعمال بين البشر، وهذا ما جعلهم عاجزين على إلحاق أي تغيير بها، ذلك أن اللغة مجموعة الأنظمة المعقدة التي لا يستطيع الإنسان الوصول

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدرالسابق، ص 118.
[2] نفسه، ص 119.

إلى معانيها وفهمها إلا بأعمال الفكر حتى يتسنى له إدراكها، حتى وإن كان استعمالهم لهذه اللغة بشكل مستمر فلا يمكنه الوصول إلى التغيير فيها إلا إذا كان من طرف المختصين والنحاة، ويرى دي سوسير أن جميع محاولاتهم التي سعوا فيها إلى تغيير اللغة باءت بالفشل تماماً.

د-مقاومة المجموعة وممانعتها لكل تجديد لغوي:

يرى دي سوسير أن اللغة قضية تهم جميع أفراد المجتمع اللغوي في كل فتراتها، فمن الاستعمال الواسع لها وانتشارها في كل المجتمعات تشكل أشياء يقوم بها الأفراد من الاستعمال اليومي لها، ومن هذا فهي عرضة لتأثير كل فرد فيها ومن هذا يستحيل أن يحدث انقلاب أو تغير فيها، كما أن للزمن دور في استقرار اللغة وعدم تغييرها، لأنها تحتل مكاناً ما في الزمن ومرتبطة به، لأنها وكما قلنا نتاج ورثناه عن أسلافنا ونحن نقول "رجل" و "كلب" لأنهم قالو قبلنا "رجل" و "كلب" ولا يمنع هذا من قيام رابط في مستوى الظاهرة الجمالية بين هذين العاملين المتناقضين وهما التواضع الاعتباطي الذي بمقتضاه كان الاختيار حراً وعامل الزمان الذي بمقتضاه كان الاختيار مقيد[1].

2-تغير العلامة اللغوية:

إن للزمن الأثر الواضح الذي يكفل استمرار اللغة، كما له الأثر كذلك في تغيرها وتبدلها، حيث تجري عليها تعديلات، ويتم تبديل العلامة اللغوية بشكل سريع، ومن هذا يرى دي سوسير أنه بإمكاننا أن ننسب صفتي الثبات والتبدل للعلامة اللغوية في نفس الوقت، ذلك أن لكل منهما صلة وثيقة بالأخرى، فهما متماسكين والعلامة اللغوية حسب دي سوسير قابلة للتحول، لأنها متواصلة عبر الزمن.[2]

يجب أن لا نخطئ في فهم معنى التغيير، فقد تمس هذه التغيرات الدال سواء كانت تغيرات صوتية وغيرها، وما يلحق المدلول من تغيرات معنوية، ومهما كانت عوامل التغيير هذه تعمل معا أو كل واحدة على حدى، فإنها لا تؤثر في العلامة القائمة بين الدال والمدلول، ويضرب دي سوسير أمثلة كثيرة في هذا المجال من ذلك تغير الكلمة اللاتينية (necare) ومعناها باللغة العربية (قتل) وفي اللغة الفرنسية

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدر السابق، ص 119.

[2] نفسه، ص 120.

أصبحت (noyer) ومعناها (أغرق)، فمن هذا التحول نجد أن الصورة السمعية لهذه الكلمة والتصور الذهني لها قد تغير معاً، ومعنى ذلك أن الرابط الذي يربط الفكرة بالدال قد تلاشى، ونجده يعطي مثالا كذلك في اللغة الألمانية القديمة، فكلمة (dritteil) ومعناها (الثلث) أصبحت في اللغة الألمانية الحديثة (drittel)، ورغم بقاء الصورة المتصورة لهذه الكلمة إلا أن العلاقة بين الدال والمدلول تغيرت من ناحيتين، الأولى هي أن الدال تغير من ناحية مظهره المادي، والثانية من ناحية الصيغة النحوية له فقد أصبح كلمة بسيطة بعد أن كان كلمة مركبة، فنجد أنه حدث تغير في العلاقة بينهما، ونجد في اللغة الأنجلو سكسونية كلمة (fot) أي (قدم) بقيت على حالها في اللغة الإنجليزية (foot)، أما في صيغتها في الجمع فقد تغيرت من (foti) أي الأقدام إلى (fet)، وفي اللغة الإنجليزية (feet) ومن هذه التغيرات نستطيع القول من خلالها أن العلاقة بين الدال والفكرة قد تغيرت، ونجد اللغة عاجزة عن حماية من كل التغيرات التي تطرأ عليها، فتؤدي إلى تزحزح العلاقة بين الدال والمدلول[1].

أما عن المؤسسات البشرية كالعادات والتقاليد فإنها تقوم على العلاقات القائمة بين الأشياء، فاللغة حرة في اختيار وسائلها وليست مقيدة.

ونجد (ويتني Whitney) يلح كثيراً على صفة الاعتباطية، إلا أنه لم يهتم بمسألة أنها تميز اللغة تمييزاً كليا، ويتجلى ذلك من التطورات التي تحظى بها اللغة فاستعمال البشر للغة وفي الزمن نفسه يمنعنا من إلحاق أي تغيير باللغة، وانتقد دي سوسير ويتني بقوله إن اللغة لا تشبه المؤسسات الاجتماعية الأخرى في كل شيء، فهي عبارة عن آلية معقدة وحضورها دائم مع الأفراد، كل الأفراد خلافا للمؤسسات الاجتماعية الأخرى (مثل طقوس ديانة ما أو الإشارات البحرية ...) التي تشعل عددا محدودا من الأفراد في زمن واحد محدد، إلى جانب كونها (اللغة) تقوم على مبدأ الاعتباطية الذي يجعلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد عوامل التبدل.[2]

فاللغة تتطور وتتغير نتيجة تأثير عوامل شتى سواء على مستوى الأصوات أو المعاني وهذا المبدأ يطبق على اللغات الاصطناعية، فنجد صاحبها يُبقي أسسها وقوانينها بيده، وما إن يتداولها البشر وتصبح ملكا للجميع تبدأ بالإفلات من يده،

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدر السابق، ص 121.
[2] نفسه، ص 122.

فتتوارثها الأجيال وتصبح إمكانية العودة بها إلى الوراء صعبة جدا لما طرأ عليها من تغير.[1]

ما يمكن أن نصل إليه هو أن وجود اللغة دليل على وجود جمهور يستعملها، ولا يمكنها أن تخرج عن إطارها الاجتماعي، لأنها ظاهرة دلالية ويعد الطابع الاجتماعي لها من خصائصها الداخلية ومن هذا نستطيع القول أن اللغة والجمهور المستعمل لها متلاحمين ولا ينفصلان وإذا نظرنا إلى اللغة في الزمن دون النظر إلى مستخدميها، كأن تتصور شخصا عاش طول حياته وحيدا فإننا نلاحظ أنه لا توجد تغيرات في لغته ولا أثر للزمن فيها وإذا قلنا بوجود مستخدم اللغة ونقطع صلتها بالزمن فإننا لا نرى التأثيرات التي يخلفها مستعملو اللغة على اللغة ولإدراك واقع اللغة على حقيقته علينا أن نركز على أهمية الزمن في ذلك من هذا نستطيع القول بأن اللغة ليست مقيدة ذلك أن الزمن يساعد القوى المستعملة للغة بالتأثير فيها واستمرارها الذي يؤدي بها طبعا إلى التغيير.

6-مآخذ اعتباطية العلامة عند دي سوسير:

لقد أكد سوسير كون العلامة غير معللة باستثناء ما يتعلق بالعلامات المحاكية فلا توجد علاقة ضرورية بين سلسلة الأصوات شجرة مثلا ومفهوم شجرة ولقد اعترض بنفينيست على هذا الوصف منبهاً إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول أبعد من أن تكون اعتباطية فهي علاقة لازمة ضرورية إذ هي التي تؤسس العلامة وتؤلفها، فمهوم لفظ "ثور" يماثل حتماً في فكرنا المجموعة الصوتية الدال (ث، و،ر) وكذلك الشأن بالنسبة للمتكلم باللغة الألمانية فالعلاقة ضرورية بين الدال والمدلول وهذا صحيح حسب ما ذهب إليه "سيزا قاسم"، فالعلاقة تكون اعتباطية باعتبارها وحدة من الدال والمدلول وبين الشيء المشار إليه أو الموضوع أو الحدث فلا علاقة بين سلسلة الأصوات والحيوان في عالم الموجودات[2].

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، المصدر السابق، ص 122.
[2] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 19.

ويعود هذا الاعتراض إلى استبعاد سوسير في تعريفه للعلامة المشار إليه وحصره التحديد بين الدال والمدلول فقط. ويبقى مفهوم سوسير للاعتباطية يعتريه شيء من الإشكال والغموض حث أن الظواهر النفسية التي يطرحها مثل المفهوم والصورة الذهنية هي كلها حقائق مازالت مادة للتجريب العلمي ومازال علم النفس يتقدم نحو وصفها وصفاً دقيقاً[1]

ومن جملة الباحثين الذين عارضو فكرة الاعتباطية نجد:

- **أوجدن وريتشاردز Ogden et richads:** من الذين اعترضوا على تصور دي سوسير العلامة اعتراضاً شديداً أجدن[2] وريتشاردز[3] أيضا كتابهما معنى المعنى الذي يتضمن مباحث في اللسانيات وفلسفة اللغة طبع في لندن سنة 1923، حيث أشار إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الكلمات والأفكار من جهة والأشياء المشار إليها من جهة أخرى وقد اختصرا فكرتهما في شكل مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية بالمثلث القاعدي هو كالاتي:[4]

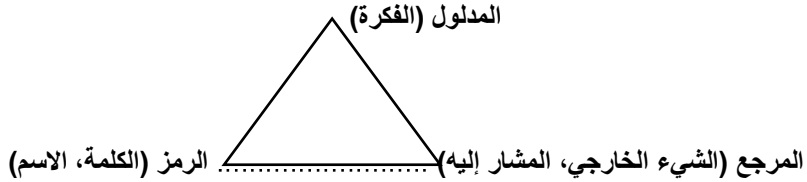

-الرمز: هو الكلمة المنطوقة المكتوبة من سلسلة الأصوات المرتبة ترتيباً معينا .

-الفكرة: هي المحتوى الذهني الذي يحظر في ذهن السامع حينما يسمع كلمة معينة وهذا المحتوى العقلي قد يكون مثلاً شيء موجود في الواقع الخارجي أو مجرد عملية من عمليات الربط الذهني أو الإحالة وهذا ما يسمى عندهما ب référent.

[1] ينظر: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 20.
[2] أوجدن (1889-1957) لساني إنجليزي
[3] ريتشادز (1893-1979) ناقد وبلاغي إنجليزي
[4] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، المرجع السابق، ص 41.

مثلا كلمة "صداقة" تكون في الخطاب اللساني ولكن لا نجد قيمتها الدلالية الحقيقية إلا داخل المجتمع.

يتضح من هذا المثلث أن أوجدن وريتشاردز قد ضمنا مثلثيهما الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية أو تحل محله، وبذلك ربطا العلامة اللسانية يعالم الواقع الخارجي ووضعاه في صلب ماهيتها[1]

يميز هذا الرسم ثلاثة عناصر مختلفة للمعنى، ويوضح أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز والشيء الخارجي الذي تعبر عنه والكلمة عندهما تحوي جزأين هما صيغة مرتبطة بوظيفتها الرمزية ومحتوى مرتبط بالفكرة أو المرجع[2]

فالعلاقة بين الرمز والفكرة هي علاقة سببية أي أن الفكرة هي العلة في وجود الرمز وهنا قد نجد بعض التشابه بين ما يقوله أوجدن وريتشاردز وما يقوله سوسير عن العلاقة بين الدال والمدلول، أما العلاقة بين الفكرة والمشار إليه تفسيراً سببياً أي أن الفكرة تتولد من فعل المشار إليه وتكون العلاقة مباشرة إذا أمكن اختبار المشار إليه اختباراً حسيا، وذلك إذا كان الشيء واقعاً في محيط الخبرة الحسية للمتكلم أو المخاطب مثلاً حين نفكر في شيء ملون مثلاً حين نراه(أزرق)، أما إذا غاب الشيء عن محيط الخبرة الحسية فتكون العلاقة غير مباشرة مثلا إذا فكرنا في نابليون المشار إليه هو نابليون نبحث عنه من خلال المؤرخ – الوثائق المعاصرة لنابليون – شهود العيان .[3]

أما بخصوص العلاقة بين الرمز والمشار إليه علاقة غير معللة وغير مباشرة ولا تتم إلا من خلال جانبي المثلث أي الفكرة والرمز والمشار إليه.[4]

يرى كل منهما أن معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها وهنا يوجد رأيان: رأي: يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه. وآخر يعتبر أن معناها هو العلاقة التعبير وما يشير إليه.

---

[1] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع سابق، ص 23.
[2] أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1998، ص 55.
[3] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص 24.
[4] نفسه، صفحة نفسها.

ودراسة المعنى الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث وهما جانبا الرمز والمشار إليه، وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسته الإحاطة الجوانب بالثلاثة لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة، أو الصورة الذهنية، لأن المشار إليه لا يجب أن يكون شيئاً محسوساً قابلاً للملاحظة (المنضدة) فقط، فقط يكون كيفية (أزرق) أو حدثاً (القتل) أو فكرة تجريدية (الشجاعة).

ففي كل حالة يمكن أن نلاحظ ما يشير إليه اللفظ، لأن كل الكلمات تحمل معاني، وقد يكون المشار إليه غير محدد كما في كلمة (قلم) التي لا تشير إلى قلم معين لأنها يمكن أن تطلق على أي قلم.[1]

وقد اعترض على أوجدن وريتشاردز درسوا الظاهرة اللغوية بعيداً عن إطار اللغة كما أنها تقوم على دراسة الموجودات الخارجية (المرجع) أي لابد أن تكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم حتى تستطيع أن تعرف المعنى تعريفاً دقيقاً، كذلك معنى الشيء يختلف عن ذاته فعندما نقول مثلاً عندما نقول تفاحة هذا يعني أن التفاحة تؤكل ولكن المعنى الذي تشير إليه لا يؤكل.[2]

- إميل بنفينيست e.Benveniste:

لقد اهتم إميل بنفينيست (1902-1976) باحث لساني فرنسي بالمفاهيم التي جاء بها دي سوسير حيث تعرض إلى أغلبها في كتابه (problèmes de linguistique générale) مفسراً وناقداً ومن القضايا التي استقطبت اهتمامه العلامة ومفهومها كما تصوره دي سوسير، فبعد عرضه الجوانب التي تتعلق بالعلامة وقف عند مفهوم الاعتباطية ليناقشه ويبين تناقض دي سوسير فيه.[3]

يرى بنفينيست أنَّ الحكم الذي تبناه دي سوسير في مسألة اعتباطية العلامة حكم خاطئ إذ إنَّ دي سوسير على الرغم من أنَّه يركز على النطاق النفسي لتوحد الدال والمدلول فإنَّه يُقرُّ ضمنياً بوجود طرف ثالث أساس في هذا التوحد، فيلاحظ بنفينيست أنَّ هناك تناقضاً في تصور دي سوسير للعلامة، لأنَّه في

[1] أحمد مختار علم الدلالة، المرجع السابق، ص 55.
[2] نفسه، ص 56.
[3] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، المرجع السابق، ص 42.

تعريفه العلامة يؤكد أنَّ العلامة لا تربط بين شيء واسم، بل بين مفهوم وصورة سمعية، أو دال ومدلول، وأنَّ العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، فالاعتباطية في نظر بنفينيست ليست بين الدال والمدلول، وإنَّما بين الدال والشيء الموجود في الواقع الخارجي، يعنى ذلك أن العلامة اللسانية بنية موحدة يتحد فيها الدال والمدلول بدون هذا الاتحاد تفقد العلامة اللسانية هذه الخاصية، كل كلمة تدل على معنى تستحضر صورتها في الذهن، وكلما كررنا نفس الكلمة ظهرت نفس الصورة مثل لفظ ثور الذي يستحضر في الذهن صورة هذا الحيوان العشبي ولا يستحضر صورة حيوان آخر، إذ أصبح اللفظ يطابق ذات الشيء في العالم الخارجي عندما نقول على سبيل المثال "مسطرة" فلأنها تسطر "ومحفظة" لأنها تحفظ الأدوات سيالة لأنها تترك سائلا وكذلك بالنسبة للفظ مثلث فلأنه يتكون من ثلاثة أضلع ونفس الشيء بالنسبة للمربع يتكون من أربعة أضلاع فكل لفظ يعكس طبيعة الشيء ويعبر عن هويته ولم يوضع بطريقة عشوائية. فلو كانت العلاقة بينهما اعتباطية لا يستحدث كل فرد لغة خاصة يتحدث بيها لكن الامر لا يجري على هذا النحو الكل يضطر إلى التحدث بلغة القوم واستعمال نفس الإشارات الصوتية حتى يتم يتواصل بينهم.[1]

يلخص بنفنيست من ذلك إلى أنَّ الرابط الجوهري بين الدال والمدلول ليس اعتباطي، بل العلاقة ههنا علاقة تلازمية، أي أنَّ أحدهما سبب في وجود الأخر وما هو اعتباطي هو وقوع دال معين على شيء ما في الواقع الخارجي، فالاعتباطية حينئذ ليست بين الدال والمدلول، بل بين الدال والشيء الذي تحيل إليه العلامة، أي المرجع.[2]

اعتراض رولان بارث Roland Barthes :

أخذت السيميائية بعد دي سوسير منحنى جديداً في رحاب تطور المعارف الإنسانية، ويتبدى ذلك جلياً في منعرج تحولها، وذلك بأخذها سبيلين:

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، المرجع السابق، ص 42.

[2] نفسه، ص 42

أ-سيميائية التواصل: يمثل هذا الاتجاه مجموعة من اللسانيين منهم جورج مونان "Georges Mounin"[1] وبرييطو "Prieto luis Georges"[2] وبويسنس Eric "Buyssens"[3] وغيرهم وينظر هذا الاتجاه إلى العلامة على أنها أداة تواصلية أو وسيلة قصد تواصلي إبلاغي وهذا مفاده أنّ العلامة تتكون وفق هذا المنظور من دال ومدلول، ولا يهم هؤلاء اللغويين من العلامة السيميائية غير الإبلاغ وأداء الوظيفة التواصلية وهذه الوظيفة الإبلاغية لا تنحصر في الأنساق اللسانية وحسب بل تتعداها إلى كل الأنساق غير اللسانية مادامت تؤدي الغرض الإبلاغي[4]، فظلت هذه السيميائية تقتفي أثر دي سوسير من حيث إنها تؤكد الجانب القصدي والتواصلي للعلامة، وأنَّ هذا التواصل هو انعكاس لطبيعة اللسان نفسه بوصفه نسقاً تواصلياً.[5] وهذا يعني أنَّ العلامة من منظور سيمياء التواصل لا تخرج عن كونها وسيطاً تواصليا يستخدم بغرض التبليغ والتأثير في الغير كما أن الفعل التواصلي يتحدد بناء على استعمال العلامات.

ب-سيميائية الدلالة:

ويمثل هذا الاتجاه رولان بارث (1915-1980) فيلسوف فرنسي ناقد، ومتخصص في الأدب والدلالة. كان اهتمامه منصباً في أول الأمر على النقد الأدبي، فثار على مناهجه التقليدية إلى درجة أنّه شكك في المعلومات التي تقدمها الجامعات الكلاسيكية في ميدان الأدب، وقد عمل على إرساء قواعد النقد الحديث، خاصة بعد ظهور كتابه: الدرجة الصفر في الكتاب "degré zéro de l'écriture" (1953) تضمن هذا الكتاب فلسفة خاصة بالخطاب الأدبي، من حيث التعريف

---

[1] جورج مونان (1910-1993) لساني فرنسي اهتم كثيرا بالتأريخ للدراسات اللغوية له أبحاث ودراسات عدة في مجال السيميائيات واللسانيات والترجمة.

[2] برييتو ولد بقرطبة (cordoba) الأرجنتين درس اللسانيات في جامعات مختلفة بالأرجنتين، والجزائر، ثم أستاذ السيميائيات في باريس، وبعد ذلك أستاذ اللسانيات العامة في جنيف، توفي بجنيف 31مارس 1996.

[3] بويسنس (1900-2000) باحث أكاديمي ولساني بلجيكي.

[4] لخضر العرابي، المدارس النقدية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دط2007، ص 155.

[5] أحمد حساني. مباحث في اللسانيات، المرجع السابق، ص 42.

والنقد فأرسى قواعد منهج نقدي نصي، ثم اتجهت عنايته فيما بعد إلى السيميائية فألف:

1-عناصر السيميولوجيا éléments de sémiologie

2-نظام الموضة système de la mode

حاول رولان بارث أنْ يكشف عن القوانين الدلالية عامة مما جعل بحوثه الأدبية والنقدية تزداد ثراء وقوة في درب الاعتراض على قدسية المؤلف، وقدسية الأثر الأدبي، وقد سعى بارت إلى الكشف عن الروابط العميقة بين الإنسان والعلامات، لاسيما في مؤلفه: لذة النص"plaisir du texte" ، ولذلك فإنَّ بارث، وإنْ كان لم يخرج عن الخط السويسري، فقد قلب موازين التصور القائل: بأنَّ اللسانيات فرع من السيميائية، ويبرر ذلك بأنَّ إنتاج الدلالة وتحققها في الواقع لا يمكن له أن يتم خارج النموذج اللساني، فعالم المدلولات ليس شيئاً آخر إلا عالم اللغة، فالنموذج اللساني يظل طاغيا وحاضراً في أي إجراء تأويلي للأنساق غير اللسانية، ومن هنا فإنَّ السيميائية عكس ما ذهب إليه دي سوسير تصبح فرعاً من اللسانيات وليس العكس.[1] تستند سيمياء الدلالة بشكل كبير وواضح إلى أفكار سوسير كمرجعية أساسية، ويظهر ذلك في تصور بارث للعلامة على أنَّها كل يحركه محوران هما الدال والمدلول، غير أنّ الأشياء وإن كانت حاملة للدلالة فهي لن تكون علامات سيميولوجية أو علامات دالة إلا بتدخل اللغة وامتزاجها بها.[2]

فالأشياء ومختلف المواضيع تكتسب صفة العلامة من اللغة وكذلك الأنساق السيميولوجية ككل وهذا ما دفع ببارث إلى أن يرى أنَّه من الصعب جداً تصور إمكان وجود مدلولات لأنساق مهما كانت المواضيع والأشياء التي تشكلها خارج اللغة، فإدراك ما تدل عليه مادة ما يعني اللجوء إلى اللغة فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة.

فمدلول العلامة لا ينشأ خارج اللغة بل داخلها، وبذلك فإن الأشياء لا تدل إلا بالاستعانة بما توفره لنا اللغة من تصور للعالم، ولا مجال لإسناد الدلالة إلى الأشياء

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، المرجع السابق، ص 43.
[2] نصيرة عيسى مبارك، فلسفة العلامة عند رولان بارث، المرجع السابق، ص 20.

واعتبار هذه الأخير علامات، لولا تدخل اللغة فوجود المعنى يرتبط بالتسمية وبالتالي فإن اللغة هي التي تحقق عالم المدلولات[1]

وما يمكن قوله كخلاصة أن بارت لم يخرج كثيراً عن حدود التصور السوسيري للعلامة فهو على غرار دي سوسير يعتبر العلامة وحدة ذات طابع مزدوج دال ومدلول بحيث أن الدال عنصر أساسي مشكل للعلامة كوحدة كلية وفق النمظور البارثي.

-عند بيرس: charles sanders peirce

نظر شارل بيرس هو الأخر للعلامة في أطار ماسماه بعلم السيميولوجيا (la sémiologie) والذي جعله مرادفاً للمنطق في معناه العام، فالمنطق عنده في معناه العام عبارة عن كلمة أخرى للسيميائية وهي نظرية بالغة الضرورة أو تتعلق بشكل العلامات ومن هنا جاء تعريفه للعلامة أو المصورة هي " بأنها شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما بصفة ما، أي أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة أو علامة أكثر تطوراً وهذه العلامة التي تخلقها أسميها مفسرة interpretant للعلامة الأولى. إن العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو موضوعها object وهي التي لا تنوب عن تلك الموضوعة من كل الواجهات بل تنوب عنها بالرجوع إلى نوع من الفكرة التي سميتها ركيزة ground المصورة"

فالمصورة هي الحامل المادي للعلامة تقابل الدال عنده لها نفس الدور الذي يقوم به الدال في تصور بيرس من حيث إنها تمثيل لشيء ما غائب عبارة عن مصورة تحيل على مدلول مدرك ذهنيا. أما المفسرة هي العلامة التي تخلق في غفل الشخص المخاطب تسمى مفسرة للعلامة الأولى وتقابل المدلول عند دي سوسير والفكرة عند أوجدن وريتشاردز، ولكن هذا التقابل لا يعني عدم وجود فرق في الرؤية، فبيرس يرى أن المفسرة علامة جديدة حادثة تنجم عن الأثر الذي يتركه موضوع العلامة التي في ذهن المتلقي وتشمل كل الاحتمالات سواء كانت ماضية، حاضرة، مستقبلية التي ينطوي عليها موضوع العلامة الأولى.[2]

[1] نصيرة عيسى مبارك، فلسفةالعلامة عند رولان بارث، المرجع السابق، ص 21.
[2] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 138.

وتعد المفسرة مصدر المعنى ومكان تولده في نظر بيرس، وتتخذ أشكالا متعددة فمنها ما يكون مصورة من نظام سيميولوجي أخر غير الذي تنتمي إليه العلامة الأصلية فقد تترجم العلامة اللغوية كلب مثلا إلى صورة فوتوغرافية أو رسم. ومنها ما يكون تعريفا علميا يصاغ في نفس النظام السيميولوجي اللغوي فالملح يترجم إلى كلوريد الصوديوم. وقد تكون المفسرة معنى من المعاني الإيحائية المصاحبة للعلامة التي تحمل بعض الدلالات اللصيقة بها، فعلامة كلب قد توحي بالوفاء أو الغدر مثلا. وقد تكون مجرد ترجمة من لغة طبيعية إلى لغة طبيعية أخرى فكلمة كلب باللغة العربية تترجم مثلا إلى كلمة chien باللغة الفرنسية. أو سلوكا تثيره العلامة عند المتلقي فقد يدفع سماع صفارة الإنذار مثلا الناس إلى الاختباء أما بالنسبة للموضوع ليس له مقابل [1]

وقد جعل بيرس بين العلامة والواقع الخارجي أكثر قربا ومباشرة مما جعله يصنف العلامة ذاتها وفق تراتب ثلاثي شهير:

1-الأيقونة icone

2-المؤشر أو القرينة index

3-الرمز symbole

ويعتمد تقسيم بيرس هذا على درجة المماثلة أو الإختلاف بين الشيء أو الواقع الخارجي في الظاهرة اللسانية.[2]

فالعلامة الأيقونية تدخل في علاقة مشابهة مع الواقع الخارجي وتظهر نفس خصائص الشيء المقصود وتتحدد بموضوعها الذاتي فيتضح موضوعها من خلال تشابه بين المصورة (الدال) والموضوع (المشار إليه) مثل الصورة الفوتوغرافية تتركب من دال (الصورة) وهذا الدال يحيل على شخص ما في الخارج.

أما النوع الثاني في سلم بيرس فهو المؤشر أو القرينة وتكون فيه العلاقة بين المؤشر والواقع الخارجي تقوم على مبدأ التجاور عن طريق إقامة علاقة سببية بين الحدث اللغوي وبين ما تدل عليه هذا الحدث بواسطة تجاور يحقق للمؤشر ماهيته فهو

[1] سيزا قاسم ونصرحامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 141.
[2] نفسه، ص 142.

بحسب بيرس علامة تحيل إلى شيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع فقد يكون ارتفاع الصوت مثلا مؤشر لحالة عصبية تنتاب المتكلم والحمى مؤشراً على إصابة الشخص بالتهاب أو بمرض. فالمؤشر هو علامة تكون فيه العلاقة بين المصور والموضوع علاقة سببية منطقية كارتباط الدخان بالنار.

أما النوع الثالث والأخير من العلامات في نظام بيرس الثلاثي فيتمثل في الرمز فهو علامة تكون فيها الصلة بين المصور والموضوع محض عرفية وغير معللة أي لا وجود للتشابه بينهما أو أي رابط طبيعي يقول بيرس: " الرمز هو علامة تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر عرف غالباً ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه" مثال على ذلك اختيار الميزان رمز للعدالة والحمامة البيضاء بالسلام والشمس بالحرية ارتباط صوت الغراب بالشؤم.[1]

ما نستنتجه في الأخير أن بيرس قد وسع في مفهوم العلامة وجعلها تشمل المظاهر والتجليات غير اللسانية خاصة في الأدب والفن والحياة وفاعلية أنواعها خارج نطاق علم اللغة بحيث جعل وظيفتها منطقية.

[1] سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات، المرجع السابق، ص 142.

الفصل الثاني:

مباحث العلامة اللغوية

في كتاب الخصائص

أولا-التعريف بابن جني:

1- نسبه ومولده:

هو أبو الفتح عثمان بن جني النحوي الشهير بابن جنّي، عالم نحوي ذو شأن كبير، وصاحب تصانيف مشهورة كان أبوه "جنّي" مملوكا روميا لسليمان بن أحمد الأزدي الموصلي، ولذلك ينتسب ابن جني أزديّاً بالولاء. ولد ابن جني بالموصل وفيها نشأ وتلقى مبادئ التعلم، أمّا عن سنة ولادته فقد تضاربت الآراء حولها، فبعضهم قال: قبل الثلاثين والثلاثمائة، وبعضهم قال قبل الثلاثمائة، وبعضم لم يذكرها أصلا، وهذا اعتماد على أنّ ابن جني توفي سنة 392 هـ فإن ولادته تكون سنة 322 هـ أو سنة 321هـ[1].

أخذ ابن جني النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش[2] وقرأ الأدب على يد أبي علي الفارسي[3] وكان لابن جني علاقة طيبة مع المتنبي[4]

خلف ابن جني كتباً تدل على فضله الجمّ وعلمه الغزير نذكر منها:

-الخصائص

-سر صناعة الاعراب

-اللمع في العربية مختصر التصريف

-الألفاظ المهموزة

---

[1] ابن جني، الخصـــائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصـــرية المكتبة العلمية، د.ط، 1913م، ج1، ص 5.

[2] أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بـــ (الأخفش)، كان إماما في النحو، قرأ عليه ابن جني النحو في الموصل، ثم أقام ببغداد، وكانت له حلقة بجامع المنصور، له كتاب في تعليل القراءات السبع.

[3] أبو علي الفارسي(377-288 هـ/900-987م) هو نحويُ وعالم بالعربية.

[4] هو أبو الطيب أحمد الحســين الجعفي ولد بالكوفة ســنة 303هـــــ نشــأ في الشــام،التقى ابن جني بالمتنبي بحلب عند ســيف الدولة الحمداني كما التقاه في شــيراز، عند عضــد الدولة وكان المتنبي يحترمه ويقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان إذا ســئل عن شــيء من دقائق النحو والتصــريف في شــعره يقول: ســلوا صــاحبنا أبا الفتح .ويعد ابن جني أول من قام بشــرح أشــعار ديوان المتنبي وقد شرحه شرحين الشرح الكبير والشرح الصغير.

-المحاسن في العربية

-النوادر الممتعة في العربية

- مختصر التصريف

- مختصر العروض والقوافي

2- تقديم الكتاب " كتاب الخصائص أسباب تأليفه وموضوعاته "

أ-العنوان:

ما إن يذكر كتاب الخصائص حتى يتبادر إلى الذهن ودون أدنى تفكير اسم مؤلفه ابن جني وبالمثل إذا ذكر ابن جني فإنه يذهب بالفكر إلى كتابه الشهير الخصائص فهو من جُّل الكتب التي أفادت بها قريحة هذا النحوي الشهير وأذهلت عقول المتأخرين من الدارسين الراغبين في استنباط خصائص وأحكام هذه اللغة ومن أغلب الجوانب الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية وغيرها. فهو موسوعة لغوية في كل الدراسات اللغوية، وبهذا حقق هذا الكتاب شهرة واسعة لمؤلفه فكلمة خصائص أدل في معناها على مادة الدرس من تعبير تشير إلى القوانين العامة التي تنظم اللغة إذ يعني بها خصائص العربية كما اتضح من كلامه التالي يقول" ... واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنّف في علم العرب وأذهبه في طريق القياس والنظر وأعوده عليه بالحيطة والصون، وأخذه له من حصة التوقير والأون، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة"[1]

ب- المسائل اللغوية في الخصائص:

تضمن كتاب الخصائص مائة واثنين وستين باباً عالجت مستويات اللغة من الصوت، فالصرف والنحو وصولا إلى الدلالة، وكذا مباحث في أصل اللغة وماهيتها، نذكر بداية باب القول على الفصل بين الكلام واللغة وصولاً إلى باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول. وقد تنوعت مواد هذه

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 1.

الأبواب حتى تكاد تغطي جلّ علوم العربية ولهذا عدّ كتاب الخصائص موسوعة في علم العربية. ومن أهم العلوم التي تضمنتها أبواب الكتاب نذكر منها:

علوم اللغة: وهذا يظهر في بداية الكتاب في باب القول على الفصل بين الكلام واللغة، وفي باب القول على اللغة وماهي، وباب القول على النحو، وباب القول على الاعراب، "وباب القول على البناء"، "وباب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح"...

علما النحو والصرف: أولى ابن جني هذين العلمين اهتماما كبيرا فكان لهما الحظ الوافر في الكتاب ونلاحظ ذلك في: "باب في الشجاعة العربية" والذي تناول فيه ظاهرة الحذف، ظاهرة التقديم والتأخير، "باب في إضافة الاسم إلى المسمى والمسمى إلى الاسم"، "وباب في تسمية الفعل"، "وباب دور الاعتلال"، "وباب في تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية"...

- البلاغة: باب في الفرق بين الحقيقة والمجاز، باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة...

-علم الأصوات: باب في امساس الالفاظ أشباه المعاني، باب الساكن والمتحرك، باب الادغام الأصغر، باب كمية الحركات، باب في مطل الحركات، باب في مطل الحروف...

علم أصول النحو: باب في تعارض السماع والقياس، باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، باب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول.

ج- الهدف من تأليف كتاب الخصائص:

أهدى ابن جني كتابه الخصائص للملك بهاء الدولة البويهي وهذا يظهر في قوله: "... هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيّد بهاء الدولة وضياء الملة وغياب الامة وادم ملكه ونصره وسلطانه ومجده وتأييده وسموه وكبت شانئه وعدوه كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظا له عاكف الفكر عليه منجذب الرأي والرؤية إليه وإذا ان أجد مهملا أصله به أو خللا ارتقه بعمله "[1]

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 1.

وقد بين ابن جني من خلال مقدمته للكتاب سبب تأليفه له ويمكننا أن نحصر هذه الأسباب في النقاط التالية:

- أنه لم ير أحداً من علماء المذهبين البصري والكوفي قد ألف في علم أصول النحو: " ... وذلك أن لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه"[1]
- أنه رأى ما ألف في علم أصول النحو لم يكن كافياً " فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلم فيه بما نحن عليه إلا خرفا أو حرفين في أوله وقد تعلق عليه به وسنقول في معناه على أنّ أبا الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيبا، إذا انت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا نبنا عنه فيه، وكفينا كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولانا من علومه المسوقة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا"[2]
- أنه أراد تلبية طلب بعض تلامذته التأليف في هذا العلم " ثم إن بعض ما يعتادني ويلم لقراءة هذا العلم بي ممّن آنس بصحبته لي، وارتضى حال أخذه عني سأل فأطال المسألة وأكثر الحفاوة والملاينة أن أمضي الرّأي في إنشاء هذا الكتاب وأولية طرفا من العناية والانصباب "[3] أي الاجتهاد فيه

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 2.
[2] نفسه، صفحة نفسها.
[3] نفسه، ص 3.

ثانيا- المسائل اللغوية في الخصائص:

1- الفرق بين القول والكلام:

طبق ابن جني منهجه الذي أشار إليه في معالجة مصطلح القول على طريقة ما سماه فيما بعد بالاشتقاق الأكبر، أي استخراج معنى مشترك أصلي لجميع تقليبات المادة اللغوية، فإن (ق و ل) "وجهات تراكيبها الست وهي: (ق ول)، (و ق ل) (و ل ق) ، (ل ق و)، (ل و ق)، مستعملة في اللغة ومعناها جميعا أين وجدت، وكيف وقعت، من تقدم بعض حروفها على بعض، وتأخره عنه، إنما هو للتخفيف والحركة" ثم أخذ ابن جني يفصل في تعريف كل تقليب على حدة. ثم اتبع ذلك بمعالجة الأصل (ك ل م) ويرى "أنها حين تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة وهي: (ك ل م)، (ك،م،ل)، (ل،ك،م) (م،ك،ل)، (ل،م،ك)"[1].

وبعد معالجة تقليبات المادتين خلص ابن جني إلى دلالة المصطلحين: الكلام والقول والفرق بينهما، أما الكلام "فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك" وأما القول" فأصله أن كل لفظ مذل به اللسان تاماً كان أو ناقصاً فالتام هو المفيد أعني الجملة وما كان في معناها والناقص ما كان بضدّ ذلك فكل كلام قول، وليس كل قول كلاما. هذا أصله"[2]

وخلص ابن جني من بيان الفصل بين مصطلحي الكلام والقول إلى أن "الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل، على اختلاف تراكيبها" وأن القول عنده، أوسع من الكلام تصرفا وقد يقع الجزء الواحد، وعلى الجملة، وعلى ما هو اعتقاد ورأي"[3]

ويتفق ابن جني مع دي سوسير في أن الكلام وضع للفائدة وأن الكلمة المفردة لا تفيد المعنى ومعناها لا يظهر إلا في الجمل فالكلام في نضر دي سوسير هو "قانون

---

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 13.
[2] نفسه، ص 17.
[3] ينظر: نفسه، ص 19.

مشترك بين أفراد المجتمع اللغوي الذي يسمح لهم بالاتصال فالكلام هو تطبيق أو استعمال للوسائل والأدوات الصوتية والتركيبية والمعجمية التي توفرها اللغة"[1]

2- الإعراب عن ابن جني:

لقد بحث ابن جني هذا الجانب المهم من نحو اللغة العربية وتحت باب أسماه باب القول على الاعراب في كتابه الخصائص إذ يرى أنه " هو الابانة عن العاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيد أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام نوعاً واحداً لأستبهم أحدهما من صاحبه، فإن قلتَ: فقد تقول ضرب يحيى بشرى، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه، قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله، مما يخفي في اللفظ حاله، ألزم الكلام من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول، ما يقوم مقام بيان الاعراب"[2]. حيث أراد ابن جني أن يقول بأن قرينة الاعراب هي الكاشفة عن المعنى، والإعراب يعني الإبانة والإفصاح عما في النفس من كلام ، وحينما تفقد العلامة الاعرابية يكون الاعتماد على المعنى بدليل مثل: ضرب يحيى بشرى، فجاز في هذا أن تقدم الفاعل وتؤخره رفعا للالتباس.

وقد عزز ابن جني قوله الأول مؤكداً حالة معينة في هذا المجال قائلا: " فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير، نحو: أكل يحيى كُمَّثْرَى: لك أن تقدم وان تؤخر كيف شئت، وكذلك: ضربت هذا هذه، وكلم هذه هذا، وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف، نحو قولك: أكرم اليحييان البشريين، وضرب البشريين اليحيون، وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس، فقلت، كلّ هذا فلم يجبه لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت، لأن في الحال بياناً لما تعنّي"[3]. ويوضح ابن جني ذلك بقوله: "ولما كانت معاني المسمَّين مختلفة كان الاعراب الدال عليها مختلفاً أيضاً وكأنه من قولهم: عَربتْ معدته، أي فسدت، كأنها استحالت من حال إلى حال، كاستحالة الاعراب من صورة إلى صورة، وفي هذا كافٍ"[4]

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، المصدر السابق، ص 33، 34.
[2] ابن جني، المصدر السابق، ص 35.
[3] نفسه، الصفحة نفسها.
[4] نفسه، ص 37.

ولذلك فإن للإعراب دوراً كبيراً في دراسة المعاني النحوية، أو الوظائف النحوية المرفوعات والمنصوبات والمجرورات وإنما يشمل أيضاً الحذف والتركيب الاسنادي وكل ما يتم بالعوامل النحوية المتنوعة من أفعال وحروف وأسماء ومقامات دلالية. ومنهنا نرى أن الدلالة الاعرابية للفظة تتحدد من خلال وضعها في السياق ولا يتم ذلك إلا من خلال هذا الجانب، ويكون متغيراً حسب السياق الذي توضح فيه وهو ما يسميه ابن جني الانتقال من حال إلى حال أخرى أي من معنى إلى آخر.

3-البناء عن ابن جني:

لقد وضح ابن جني مصطلح البناء، حيث أفرد له باباً خاصاً أسماه باب القول على البناء وقد عرفه بقوله: " وهو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل، وإنما سمّوه بناء لأنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغير الإعراب سمي بناء، من حيث كان البناء لازماً موضعه، لا يزول من مكان إلى غيره"[1] كذلك فقد خص ابن جني هنا البناء على أنه لزوم آخر الكلمة حركة واحدة لا تتغير بتغير الإعراب، على العكس من الإعراب فإن الكلمة تتخذ من موقعها من الجملة علامة اعرابها وبحسب موقعها كان تكون فاعلاً أو مفعولاً به، أو صفة أو بدلا وما إلى ذلك من متعلقات. فإن المعنى العام لا يتم أو لا يستوضح معناه إلا من خلال البناء العام للتركيب والذي تحكمه العلامات الاعرابية بالنسبة لمكونات الجملة بصورة واضحة.

4- نشأة اللغة عند ابن جني:

لقد لقيت قضية نشأة اللغة حضورا مكثفاً في مؤلفات الأقدمين ربما لأن موضوع اللغة يشكل موضوع الإنسان، وقد انقسم الباحثون في نشأة اللغة في نظر بعض إلى قسمين قسم يرى بالضرورة والطبيعة وقسم يرى أن أصل اللغة تواضع واتفاق.

وهنا تبرز جهود ابن جني الذي أخذ منحنى جديداً في هذه الدراسة فقد خصص في كتابه الخصائص فصلاً كاملاً في باب سماه " القول في أصل اللغة إلها هي أم

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 37

اصطلاح" وقال فيه: " هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف" ثم يستأنف كلامه بذكر رأي ابن فارس في نشأة اللغة : " إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[1] وهذا لا يتناول في موضع خلاف وذلك أنه يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه وتعالى.[2]

فقال عن أصحاب مذهب التوقيف مضيفاً لهم تفسيراً آخر هو: " إن الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، وغير ذلك من سائر المعلومات فكان آدم وولده يتكلمون بها وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه، واضمحل عنه ما سواها، لبعد عهدهم بها". [3]

وقدم ابن جني رداً على من ينكر أن تكون المواضعة من الله فقال: " قالوا والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحدا من عباده على شيء، إذ قد ثبت أن المواضعة لا بدَّ معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه، والمشار نحوه، والقديم سبحانه لا جارحة له، فيصح الإيماء والإشارة بها منه، فبطل عندهم أن تصحَّ المواضعة على اللغة منه، تقدّست أسماؤه"[4]

كان هذا رأي الذين رفضوا القول بالمواضعة لأن الله أعلى من أن يحاور أحدا من بشره ويتفق معه، ولأن المواضعة تحتاج لأداة أو إيماء أو حركة والله لا جارحة له

---

[1] سورة البقرة، الآية: 31.

هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك ، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة ، حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم [الله] تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم وقال السدي، عمن حدثه، عن ابن عباس: وعلم آدم الأسماء كلها" قال: عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا، والدواب، وقال الضحاك عن ابن عباس : هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس، ينظر، ابن كثير(إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير ابن كثير، دار طيبة،1422هـ ،2002م، ج1، ص223.

[2] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 40.

[3] نفسه، ص 41.

[4] نفسه، ص 45.

وهنا تسقط المواضعة، ثم رد إليهم ابن جني بقوله: "إلا أنني سألت يوماً بعض أهله، فقلت: ما تنكر أن تصحّ المواضعة من الله تعالى؟ وإن لم يكن ذا جارحة، بأن يُحدث في جسم من الأجسام، خشبة أو غيرها، إقبالاً على شخص من الأشخاص، وتحريكاً لها نحوه، ويُسمع في نَفْس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتاً يضعه اسما له ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دَفعاتٍ، مع أنه -عزّ اسمه- قادر على أن يُقنع في تعريفه ذلك بالمرة الواحدة، فتقوم الخشبة هي هذا الإيماء، وهذا الإشارة، مقام جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواضعة، وكما أن الإنسان أيضا قد يجوز إذا أراد المواضعة أن يشير بخشبة نحو المراد المتواضع عليه، فيقيمها في ذلك مقام يده، لو أراد الإيماء بها نحوه؟ فلم يجب عن هذا بأكثر من الاعتراف بوجوبه"[1] هنا يحاور ابن جني الذين يرفضون أن تكون اللغة وحياً من الله ويناقشهم في دليلهم، ويقول بما أن الله قادر على كل شيء فإنه قادر على نفخ شيء من قوته في خشب مثلا ليحل محل جارحة اللسان.

دعا ابن جني إلى أن أصل اللغة تواضع واصطلاح، وقد شذ عن رأي غالب علماء اللغة في عصره، ففسر الآية:" وعلم آدم الأسماء كلها" على خلاف أصحاب مذهب التوقيف، على أن الله أعطى آدم القدرة على اصطلاح أسماء الأشياء أي:" أن الانسان قد ركبت فيه استعدادات فطرية، وقواعد ذهنية بها يستطيع أن يسمي الأشياء، ويضع نظاماً عالمياً مطرداً مع كل الأشياء الجديدة على غرار وضعه للرموز التي تخص نظام المرور أو تلك المستعملة في نظام الملاحة البحرية (الإشارات الضوئية) فهذا كله من باب التواضع والتوفيق، والحقيقة أن ابن جني لا يكاد يستقر على رأي حيث ذكر مذهب الذين قالو بطبيعة اللغة، المستلهمة من أصوات الطبيعة، واستحسنه وقبله، يقول في ذلك " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيبِ الظبي ونحو ذلك ثم وُلدت اللغات عن لك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبَّل"[2] ولكن ابن جني ما يلبث ان يقوي في نفسه شعور يجذبه إلى الاعتقاد بكون اللغة توقيفاً من عند الله تعالى وذلك ظاهر من تناسق أجزائها وموافقتها لكل حال ومقام، ثم ما

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 46.
[2] نفسه، صفحة نفسها.

اجتمع لديه من أقوال العلماء من أساتذته من أن اللغة وحي وإلهام من عند الله. كل ذلك دفع ابن جني إلى ترجيح المذهب القائل بتوقيفية اللغة يقول في ذلك:" إنني إذا ما تألمت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحّة ما وفِقوا لتقديمه منه."[1] واتفق موقفه من موقف دي سوسير هنا في هذا الشأن، حيث يرى أنه لو كانت اللغة من عند الله لما كانت عاجزة جذرياً عن الدفاع عن نفسها ضد العوامل التي تنقل من لحظة إلى أخرى (العلاقة بين الدال والمدلول) وهذه إحدى نتائج اعتباطية العلامة

وخلاصة موقف ابن جني من نشأة اللغة أنه وقف موقفاً وسطاً، فقال بالإلهام والاصطلاح معاً، حيث يقول: تقدم في أول الكتاب القول على اللغة: أتواضع هي أم إلهام. ويوضح ذلك ما ختم به هذا الباب حيث افترض أن يكون الله تعالى قد خلق قبلنا أقواماً كانت لهم القدرة التي مكنتهم على الاصطلاح والتواضع في تسمية الأشياء، يقول ابن جني موضحاً موقفه ومعبراً في ذات الوقف عن حيرته بين القول بعرفية اللغة أو القول بالإلهام:" فأقف بين تين الخلتين الإلهام والعرف حسيراً، وأكاثرهما فأنكفئ مكثوراً وإن خطر خاطر فيما بعد، يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها أو يفكها عن صاحبتها قلنا به."[2]

ويرى عبده الراجحي أنَّ ابن جني لم يتردَّد بين الموقفين، بل رفض القول بأنَّ اللغة وحي، فهي نتاج تواضع مجموعة من البشر الحكماء واتفاقهم على رموز صوتيَّة بعينها[3]، وكذلك أكد إميل بديع يعقوب هذه الفكرة وذهب إلى أنَّ ابن جني، رغم أنَّه لم يصرّح بوضوح، إلا أنَّه آمن أنَّ اللغة تواضع واصطلاح[4]، الأمر الذي يدلُّ بوضوح على أنَّ اللغة ليست وحياً وإنَّما مصدرها هو تواضع البشر.

---

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 48.

[2] نفسه، ص 45.

[3] ينظر، عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1392هـ،1972م، ص108

[4] ينظر، إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1،1982م، ص15

لقد درس ابن جني في الخصائص الكثير من المسائل المتعلقة باللغة العربية فعرفها وتعرض لوضعها وتطورها، وقدم دراسات كانت ولا تزال لها فاعليتها في الثقافة اللغوية، والنشاط الفكري، ولذلك يعد ابن جني من أعظم العلماء الذين قدموا نموذجاً مشرقاً لمباحث اللغة في التراث العربي المعرفي فبدت اللغة العربية في خصائصه لغة لا تدانيها لغة.

5 - حد اللغة عند ابن جني:

يقول أبو الفتح في "كتابه الخصائص" في باب القول على اللغة وما هي " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدها ... "[1] يتضمن هذا التعريف أربع جوانب هي:

- المادة الصوتية تتمثل في كون اللغة أصوات.
- تعبير لغوي يبرز أن اللغة تعبير.
- ظاهرة اجتماعية باعتبار أنَّها تعبير يعبر به كل قوم عن أغراضهم.

أكد ابن جني أولا على الطبيعة الصوتية للغة كما ذكر وظيفتها الاجتماعية فلكل قوم لغتهم، فقد نبه على المعيار الاجتماعي في اللغة، باعتبارها تخص كل قوم، كما عبر عن الطبيعة الصوتية للغة، وأفرد أول كتاب لدراسة الصوت اللغوي في العربية هو سر صناعة العرب الذي حدد فيه مخارج الحروف وصفاتها، كما أشار إلى غاية اللغة وهي التعبير عن الأغراض، وقال إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم فإنها أيضاً نظام من الرموز الصوتية للتوصيل أو التعبير داخل مجتمع بعينه.

من هنا يلتقي كل من دي سوسير وأبن جني النظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية ويتضح ذلك في قوله "كل قوم" فنرى دي سوسير الذي نضر على أن اللسان هو نسق من الإشارات الصوتية التي يختص بها كل قوم من البشر في تواصلهم فاللغة عنده مؤسسة اجتماعية تشير إلى عقد واسع بين الناس وأن بها استقلالها وقوانينها. فاللغة هي ظاهرة من ظاهر العقد الاجتماعي وتأتي مواضعتها عن طريق الاتفاق بين الحكماء الذين يتولون إطلاق الأسماء على المسميات ومن هنا فالصلة بين الألفاظ ومدلولاتها عرفية اعتباطية وغير معللة بتعليل اعتباطي.

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 33.

6- مناسبة الألفاظ المعاني:

فطن علماء العربية القدامى إلى دراسة الصوت اللغوي منذ القدحة الأولى للتأليف في اللغة من بينهم الخليل(175هـ) وتلميذه سيبويه (180هـ) وتبعهم من جاء بعدهم من العلماء وقد برز في القران الرابع للهجري ابن جني وابن فارس(395هـ) ولم يفرط ابن جني بما جاء به السلف من أئمة اللغة لا سيما قضايا اللغة ومسائلها وقد أشار ابن جني إلى رمزية اللغة باعتبارها أصوات ترمز إلى أشياء وذلك في مجال حديثه عن أصل اللغة وإن كان غرضه نصيب من التخيل لكن المهم أنه كان يحس إحساسا قويا بما في اللفظة اللغوية من رمزية اللغة وذلك حين يقول " وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحدا منهم سمة ولفظا إذا ذكر عرف بمسماه ليمتاز عن غيره وليغني بذكره عن احضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف وأسها من تكلف احضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله، بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ملا يمكن إحضاره وإدناؤه كالفاني وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والبعد مجراه"[1]

والحقيقة أن اعتبار اللغة نظاما من العلامات أو الرموز الصوتية يقود إلى نقطة لم يغفل عنها علماء العربية ولم يهملها علماء اللغة المحدثون أيضا هي تلك العلاقة بين اللفظ ومدلوله وكان ابن جني هو الذي بسط هذا الموضوع وتوسع في الحديث عنه في كتابه الخصائص تعمق في دراستها واستطاع أن يوصل لنا نظرياته ولم يتركها دون تحليل أو تعليل ومن بين هذه المسائل:

7- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني:

يقول ابن جني "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به وأكثر كلام العرب، وإن كان غُفْلا مسهوا عنه، وهو على أضرب: منها اقتراب الأصلين الثلاثين كضياطٍ و ضَيْطار، ولُوقةٍ وألوقةٍ، ورحْو ورحْوَدٌّ، ويَنْجوج وألْنْجُوج. وقد

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 44.

مضى ذلك ومنها اقتراب الأصلين، ثلاثيا أحدهما، ورباعيا صاحبُه، أو رباعيا أحدهما، وحماسيا صاحبه، كدَمِثٍ ودِمَثْر، وسَبط وسِبَطْر، ولؤلؤ ولال، والضَبَعْطى والضَبَعْطُرّى، ومنه التقديم والتأخير على ماقلنا في الباب الذي قبل هذا في تقليب الأصول، نحو (ك ل م) و (ك م ل) و (م ك ل) ونحو ذلك. وهذا كله والحروف واحدة غير متجاورة، لكن من وراء هذا ضرب غيره، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع"[1] من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2] أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا بمعنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز مالابال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك ومنه العسف والأسف والعين أخت الهاء، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها والهمزة أقوى من العين كما أن أسف النفس أغلض من التردد بالعسف[3] والامر ذاته في ثنائية جرف، جلف، جنف إذ الأصلان المشتركان هما فاء الكلمة (ج) ولامها (ف)

2-نماذج من أمثلة التصاقب عن ابن جني:

-القائمة (أ):

أ-التصاقب في حرف واحد في فاء الكلمة:

في الجذور التي تناظرت فيها الهمزة والهاء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ .

أزّ	هزّ
الأز: الحركة الشديدة يقال: أززت الشيء ضممت بعضه إلى بعض[4]	هز: يهزه هزا: حركة بجذب ودفع أو حركة يمينا وشمالا[5]

[1] ابن جني، الخصائص، ج2، المصدر السابق، ص 146.
[2] سورة مريم، الآية:83.
[3] ابن جني، المصدر السابق، صفحة نفسها.
[4] ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة (أزز)، ص 307.
[5] نفسه، ج8، مادة (هزز)، ص 182.

وجه التصاقب: دلالة كل نوع من الحركة الشديدة ففي "أز" أزت القِدر تؤز أزازاً إذا اشتد غليانها وأزت السحابة إذا صوت الرعد من بعيد وأز الشيء إذا حركه شديداً.

وفي "هز" الهز الحركة الشديدة ففي التنزيل وهزي إليك بجذع نخلة[1] أي حركي هز الحادي الإبل إذا نشطها فتحركت في سيرها وخفت وفي الحديث أني سمعت هزيزاً كهزيز الرحَّا أي صوت دورنها.

ب-التصاقب في حرف واحد في عين الكلمة: في الجذور التي تناظرت فيها الزاي والصاد ومن ذلك العاز خفة وطيش وقلق يعرض للإنسان وقالو العلوص لوجع في الجوف يلتوي له الإنسان ويقلق منه فذاك من علز أي الجنون وهذا من علص والزاي أخت الصاد[2] .

عاز	علص
العاز: تسمية تأخذ المريض أو الحريص على الشيء كأنه لا يستقر في مكانه من الوجع[3]	العلواص: التخمة والبشم وقيل هو الوجع الذي يقال له اللوى[4]

وجه التصاقب: دلالة كل على نوع من القلق والتوجع ففي " عاز" قلق وخفة وهلع وضجر واضطراب قد يوصف به المحتضر فيقال هو في عاز الموت أي في قلقه وكربه ويقال بات فلان عاز ومالي أراك عازي أي في حال سوء وفي "عاص" العلوص وجع في البطن وقد يوصف به فيقال رجل علوص وهو به اللوى.

ج-التصاقب في حرف واحد في لام الكلمة: في الجذور التي تناظر فيها الدال والتاء ومنه تركيب قرد وقرت وقالوا الأرض قرْدَدُ وتلك نباك(التل) أي مرتفعة إلى جنب

[1] سورة مريم، الآية: 25.
[2] ابن جني، الخصائص، ج2، المصدر السابق، ص 148.
[3] ابن منظور، ج2، مادة (عاز)، ص 184
[4] نفسه، ج2، مادة (علوص)، ص 150.

فهو من قرد الشيء وتقرد وقرت قرت الدم عليه أي جمد، والتاء أخت الدال كما نرى[1]

قرت	قرد
قرت الدم يبس بعضه على بعض بين الجلد واللحم[2]	القرد: ماتَمَعَّطُ من الوبر والصوف وتبلد[3]

وجه التصاقب: دلالة كل على نوع من التماسك. ففي قرت تماسك وتجمد لما شأنه سيوله متمثل في جمود الدم أو يبسه بين الجلد واللحم لضرب أو جرح ونحوهما ومسك قارت إذا كان شديد الجفاف وافر الجودة[4] ويقال قرت الدم: إذا احْضَرَّ تحت الجلد من أثر الضرب. وفي قرد تماسك والتباس ممثل في تبلد الشعر والصوف ونحوهما ومن ذلك قردت أسنانه قرداً صفرت ولحقت بالدردر[5]، فهذه ملابسة واضحة والقرد محركة ما تمعط من الوبر والصوف وتبلد.

القائمة (ب):

أ-التصاقب في حرفين في فاء الكلمة وعين الكلمة: في الجذورالتي تناظرت فيها السين والصاد والحاء والهاء. وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بحرفين نحو قولهم: السحيل والصهيل[6] قال الشاعر:

كأن سحيله في كل فجر على أحساء يَمْؤودٍ دعاء

وذاك من سحل وهذا من صهل والصاد أخت السين كما أن الحاء أخت الهاء

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 148.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة (قرت)، ص 71.
[3] نفسه، ج3، مادة (قرد)، ص 348.
[4] نفسه، ج2، مادة (قرت)، صفحة نفسها.
[5] نفسه، ج3، ص 350.
[6] ابن جني، المصدر السابق، ص 149.

سحل	صهل
سحل المسحل: حمار الوحش وسحيله أشد زهيقه والسحال صوت الذي يدور في صدر الحمار[1]	الصهيل: حدة في الصوت وصلابة من صهيل الخيل[2]

وجه التصاقب: دلالة على كل نوع من حدة الصوت وإطراده، ففي سحل السحال هو الصوت الذي يدور في صدر الحمار الوحشي ومنه قيل لغز الغلاة مسحل وفي صهل حدة الصوت وامتداده قويا كصهيل الحمار.

ب-التصاقب في حرفين في عين الكلمة ولام الكلمة: في الجذور التي تناظرت فيها اللام والراء والفاء والميم وقالو جاف وجرم فهذا للقشْر وهذا للقطْع وهما متقاربان معنا ومتقاربان لفضا وذلك من جلف وهذا من جرم[3]

الجلف	أجرم
الجالفة: الشجة التي تقشر الجلد من اللحم[4]	الجرم: القطع يقال جرمت صوف الشاه أي جززته[5]

وجه التصاقب: دلالة على كل نوع من القطع والاستئصال ففي جلف نقص متمثل في جلف الجلد من اللحم والجلف بالسيف الضرب به والجلف قطع طبقة متماسكة من الشيء وجلف الشيء قلعه واستأصله. وفي جرم الجرم يعني القطع فالشجرة الجريمة المقطوعة ويقال جرمت صوف الشاه أي جززته وقد جرمت منه إذا أخذت منه

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج11، مادة (سحل)، ص 329.
[2] نفسه، مادة (صهل)، ج11، ص 387.
[3] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 149.
[4] ابن منظور، لسان العرب، ج 9، مادة (جلف)، ص 31.
[5] نفسه، ج 12، مادة (جرم)، ص 91

ج-التصاقب في حرفين في فاء الكلمة ولام الكلمة: في الجذور التي تناظرت فيها الصاد والسين واللام والراء وقالوا صال يصول كما قالو سار يسور[1]

صال	سار
صال: سطا والمصاولة المواثية[2]	سار يسور سورا وثب وثبا[3]

وجه التصاقب: دلالة على كل نوع من الوثب والهجوم ففي صال المصاولة تعني المواثبة وكذلك الصيال والعيالة فالفحلان يتصاولان أي يتواثبان ويقال صال الجمل فهو الذي يأكل راعيه ويواثب الناس فيأكلهم وفي سار دلالة على الوثب فساوره بمعنى واثبه وأسرت إليه أي وثبت

القائمة ج:

أ-التصاقب في ثلاثة حروف الكلمة الفاء والعين واللام: في الجذور التي تناظرت فيها العين والهمزة والصاد والزاي والراء واللام. وتجاوزوا ذلك إلى أن ضارعو بالأصول الثلاثة الفاء والعين واللام فقالوا: عصر الشيء، وقالوا: أزله إذا حبسه والعصر ضرب من الحبس وذاك من عصر وهذا من أزل والعين أخت الهمزة والصاد أخت الزاي والراء أخت اللام

عَصْرُ	أزْلُ
العصر: الحبس والمنع يقال: عصرته إذا منعته[4]	الأزل: الحبس يقال أزلُ بالضم وأزله أزلا حبسه ومنعه وضيق عليه من شدة وخوف[5]

وجه التصاقب: دلالة كل على نوع من الامتناع والحبس ففي عصر يقال العصر والمنع والحبس وكل شيء منعته فقد عصرته ومنه أخذ اعْتِصَار الصدقة يقال ما

[1] ابن جني، الخصائص ، المصدر السابق، ج2، ص 150.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج11، مادة (صال)، ص 387.
[3] نفسه، ج 4، مادة (سار)، ص 385.
[4] نفسه، ج4، مادة (عصر)، ص 579.
[5] نفسه، ج5، مادة (أزل)، ص 13.

عَصَرك أي ما حبسك ومنعك وقيل به سميت صلاة العصر لأنها تقصر أي تحبس عن الأولى وفي أزل يقال أزل الفرس بأزل أزلا إذا قصر حبله في المرعى فهو مأزول وأزلوا أموالهم إذا لم يخرجوها إلى المرعى خوفا أو جدبا.

ب-التصاقب في ثلاثة حروف الكلمة الفاء والعين واللام: في الجذور التي تناظرت فيها الغين والدال والتاء والراء واللام

وقالوا: الغدر كما قالوا الختل والمعنيان متقاربان واللفظان مترسلان فذاك من غدر وهذا من ختل فالغين أخت الخاء والدال أخت التاء والراء أخت اللام[1]

غدر	ختل
غدرت الناقة عن الإبل: تخلفت عنها[2]	ختل: تخاتل عن غفلة والتخاتل التخادع[3]

وجه التصاقب: دلالة كل نوع من التخلف وعدم الإلحاق ففي غدر تحجز اللحاق أي تخلف مُمثل في تخلف الناقة عن باقي الإبل ومنه قولهم: الغدير لقطعه من الماء التي يغادرها السيل أي يتركها منقطعا عنها. وقولهم غدر الأرض الرخوة ذات الحجرة فهي تعوق السائر فيها وتخلفه وتؤخره. وفي ختل تخادع عن غفلة يقال للصائد إذا استتر بشيء يرمي الصيد ختل الصيد والمخاتلة مشى الصياد قليلا قليلا في خفيه لئلا يسمع الصيد حسه.

ما نستنتجه في الأخير أن ابن جني عرض في "باب التصاقب" عددا هاما من الوحدات المعجمية التي جمعتها معان مشتركة ومن ثم عمل على تنظيم وحدات متنه وفق معايير صوتية أدت به إلى أن يقسم متنه التمثيلي إلى ثلاثة أقسام في الأول اختلاف الأصل الثلاثي من صوت واحد بين عنصري الثنائية أز وهز وفي الثاني اختلاف الثنائية من صوتين جلف وجرم، سحل وصهل وفي الثالث اختلاف الأصوات الثلاثة كلها عصر وأزل، غدر وختل.

[1] ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص 150.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج7، مادة (غدر)، ص 192.
[3] نفسه، ج11، مادة (ختل)، ص 199.

ومما تم تناوله يظهر أن ابن جني فاق عصره تنظيرا وتحليلا وإليه يرجع السبق في الكثير من التنظيرات التي عالجها علم اللغة الحديث، ويمثل كتابه الخصائص نموذجا راقيا في تحليل اللغة ودراستها انطلاقا من اعتبار أجزائها الصوت، الصرف، النحو والدلالة كلا متكاملا ، بالإضافة إلى وعي بالاستنباط والاستعمال والقياس والتعليل وكلها من ميزات المذهب الاعتزالي الذي يحكم العقل[1]، ألف الكتاب للبحث في نظام اللغة منطلقا من آراء استاذه أبي علي الفارسي، وأنه مهما كان أصل اللغة: وحيا أو اصطلاحا ،أو حتى ذات منشأ طبيعي، فإن الأمر لا يغير من حقيقة اللغة و قوانينها. قوام هذا النظام القياس الذي لا يتأتى دون الاحتكام إلى السماع والاستعمال في إطار عرف اللغة المحكية.

وبما أن دي سوسير قد ميز بين دراستين سكونية وصفية وتطورية تاريخية فإن ابن جني ينتمي إلى الدراسة التطورية: Diachronique، وأما جهوده فتنصب في إطار علم اللغة العام [2]، طالما أن كل لغة هي: نظام من العلامات ذات اطار اجتماعي يحدد نظامها وتطورها.

[1] ينظر، سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة جامعة دمشق، ط3، د.ت، ص91.
[2] ينظر، محمد وليد حافظ، قراءة في فكر ابن جني من خلال الخصـائص على ضـوء علم اللغة الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، ع:25-26 ،أكتوبر 1986م، ص 83،84.

خاتمة

خـاتـمـة:

لعل أهم ما يمكن أن نختم به بحثنا الموسوم بـــ: "العلامة بين دي سوسير وابن جني- ما يأتي:

- إن العلامة كما هي وردت في المعاجم العربية والمعاجم الأجنبية - وإن كانت تختلف في بعض التفسيرات- تتفق جميعا في تعريف العلامة بأنها أي شيء يقوم مقام شيء آخر للدلالة عليه أو تمثيله، أما الإشارة مرتبطة بالشيء الذي تشير إليه على نحو ثابت وكل إشارة واحدة ملموسة تشير إلى شيء واحد معين مثل الملابس الخاصة بالشرطة إشارة وليست رمزا، أما الرمز فيوحي بأكثر من شيء واحد فهو متحرك ومتنقل ومتنوع فقد تتعدد مدلولات الرمز بتعدد السياقات التي يرد فيها وبالتالي هو أوسع من الإشارة في التعبير والإيحاء.

- العلامة والإشارة والرمز كلها مفاهيم مختلفة ومكمن الاختلاف بينهما هو طبيعة العلاقة التي تربطهما كمدلولات مع الموضوع الذي تحيل إليه.

- إن الدليل اللغوي عند دي سوسيرDe Saussure هو ربط بين التصور والصورة الصوتية يكون بين اللفظ والمعنى.

- العلامة اللغوية عند دي سوسير De Saussure كيان ذو وجهين لا يمكن أن نستغني عن أحدهما فصورة الصوتية (الدال) تكمل الصورة الذهنية (المدلول) والعكس صحيح فالدال يثير في العقل والمدلول لشيء موجود في الواقع، فالعلامة اللسانية عنده لا توحد بين الاسم والشيء ولكن توحد بين المفهوم والصورة السمعية.

- من خصوصيات العلامة اللغوية عند دي سوسير De Saussure الاعتباطية والخطية.

- العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، والاعتباطية في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يبرر الارتباط بين الدال والمدلول، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلنا ننتقل آليا إلى مدلول ما، فسوسيرDe Saussure لا يدافع عن الاعتباطية ولا ينكر الطبيعية؛ بل يرى أن الكلمات التي لا يمكن أن نفسرها وفق نظرية المحاكاة عددها قليل إلى الحد الذي لا يمكن عدّها من المحتوى المحوري الحقيقي

للعلامة اللغوية وأن هذه العلاقة الأخيرة سرعان ما تتحول إلى اعتباطية بتأثير عامل التطور اللغوي. بالتالي لو كانت العلاقة بينهما مبررة لاستحال ذلك بدليل اختلاف اللغات في تسمية المسميات نفسها.

- ثمة اعتراضات حول العلاقة الاعتباطية من قبيل اعتراض كل من: أوجدن وريتشاردز وبنفينيست ، بارث وبيرس، غلب عليها التوجه السيميائي سيما أعمال رولان بارت.

- اللغة دليل على وجود جمهور يستعملها في نظر دي سوسيرDe Saussure ، ولا يمكنها أن تخرج عن إطارها الاجتماعي، فهي ربط الأصوات بالمعاني ويتحقق ذلك في ضل الحافز التواصلي بين أفراد المجتمع اللغوي مما يجعل اللغة حينئذ نظاماً من العلامات.

- يعد ابن جني من أوائل علماء اللغة الذين قدموا نموذجا متميزاً في معالجة الظاهرة اللغوية من خلال اعتماده منهجا يقوم على الوصف والتحليل لكشف بنية اللغة وأصولها حيث استطاع أن يبين أسرار وعبقرية اللغة العربية.

- أشار ابن جني إلى رمزية اللغة حيث أخذت بعداً شموليا تكشف لنا عن وظائفها المختلفة سواء كانت اجتماعية أم نفسية أم فكرية ونلمس هذا الأمر بوضوح عند تحديده لمفهوم اللغة. وكان يؤمن أن هناك صلة قوية بين اللفظ ومدلوله وقد ذكره في غير موضع في كتابه الخصائص.

- وضح ابن جني العلاقة القائمة بين الصوت والمعنى مبينا طريقة التأثير بينهما.

يتضح مما سبق ذكره عند ابن جني في باب التصاقب أنه مجرد الاشتراك في الحروف أو الأصوات هو الاشتراك في الدلالة.

- أشار ابن جني إلى وجود علاقة وطيدة بين تقارب الألفاظ ومعانيها حيث أن اللفظة تحمل جزء من معناها.

- وقف ابن جني موقفاً وسطا في نشأة اللغة، فقال بالإلهام والاصطلاح معاً، حيث تقدم في أول الكتاب القول على اللغة: أتواضع هي أم إلهام. ويوضح ذلك ما ختم به هذا الباب حيث افترض أن يكون الله تعالى قد خلق قبلنا أقواما كانت لهم القدرة التي مكنتهم على الاصطلاح والتواضع في تسمية الأشياء.

من هنا نستطيع أن نتوصل إلى نتيجة في بحث طبيعة العلامة اللغوية عند ابن جني ودي سوسير هذا الأخير الذي يرى العلامة ترتبط اعتباطيا بين سلسلة الأصوات والمفاهيم ويستثني من الاعتباطية العلامات المحاكية وهذه الأخيرة تربط الصوت والواقع الخارجي.

في حين حصرها ابن جني بين اللفظ والمعنى أي بين الصورة الصوتية أو المفهوم، كما فعل مثلا في مادة (ك ل م) كما أنه يجعلها بين الصورة الصوتية والواقع الخارجي في قوله: " كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّا فقالوا: صرّ... ويذكر أنه توجد صلة بين الأصوات والأفعال الدالة عليها. يمكن أن نقول عنها منطقية فكأن الحروف وجدت مفردة لدى العرب بمعانيها الخاصة فتم الجمع بينهما وتقسيم الألفاظ على المعاني.

- إنَّ كلا من العالمين يبحثان في العلامة اللغوية بحثا غير محدّد الأبعاد فأحيانا بين الصوت والمفهوم وأحيانا بين الصوت والواقع الخارجي، وإن كان البحث اللغوي عند ابن جني يجنح للتأصيل في الغالب وهذا ليس بغريب فالرجل يصرح في مقدمة مؤلفه أنه كتاب في علم الأصول وأنه سباق في التأليف في هذا الموضوع، وإن كان يميل إلى الاستطراد في الكثير من الموضوعات اللغوية التي تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن اللغة ولكن ابن جني كان على وعي كبير بضرورة أن اللغة كل متكامل بكافة مستوياتها دون فصل بينها.

وأخيرا نحمد الله تعالى ونشكره على توفيقه لنا لإتمام هذه المذكرة ونتمنى أن نكون قد وفقنا ولو قليلا. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم-.

مكتبة البحث

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

❖ **المصادر العربية:**

ابن جني الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العالمية، د.ط، 1913م.

❖ **المصادر المترجمة:**

- فرديناند دي سوسير:

- دروس في الألسنية العام، تح: صالح القرمادي، دار العربية للكتاب، د.ط، 1985م.

- علم اللغة العام، تح: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق العربية، بغداد، ط1، 1985م.

❖ **المراجع العربية:**

- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ط2، 1434هـ.

- أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط5، 1998م.

- إميل بديع، يعقوب فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة جامعة، دمشق، ط3، د.ت،

- سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار إلياس المصرية، د.ط.

- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1932هـ، 1972م.

- لخضر العرابي، المدارس النقدية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر، د.ط، 2007م.

❖ **القواميس والمعاجم العربية:**

- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، تونس، دط، 1986م.

- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير ابن كثير، دار طيبة، 1422هـ، 2002م

- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

❖ **القواميس والمعاجم المترجمة:**

- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تح: خليل أحمد خليل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 2002م.

❖ **الرسائل الجامعية:**

- نصيرة عيسى مبارك، فلسفة العلامة عند رولان بارث، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستر في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010م/2011م.

❖ **الدوريات:**

- محمد وليد حافظ، قراءة في فكر ابن جني من خلال الخصائص على ضوء علم اللغة الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، ع: 25-26، أكتوبر 1986م.

- هدى صلاح رشيد، ملامح فكرة العلامة اللغوية (الدال والمدلول) في التراث اللغوي العربي الإسلامي، مجلة العلوم الإسلامية، ع: 24، 2007م.

فهرس

الإهـــــداء

شكر وتقدير

مـقـدمـــة .....أ-ب-ج

المدخل: العلامة اللغوية مفهوم واحد أم مفاهيم

أ- العلامــة.....2

ب-الإشارة.....4-3

ج-الرمــز.....6-5

الفـصل الأول: العلامـة عنـد دي سوسـير

1. نبذة عن حياة دي سوسير.....8

2. الدليل اللغوي (العلامة اللغوية) 10-9

3. الدال والمدلول عند دي سوسير.....12-11

4. اعتباطية العلامة اللغوية.....14-12

5.الطبيعة الخطية للدال.....15-14

6. ثبوت العلامة اللغوية وتغيرها.....19-15

أ. ثبوت العلامة.....17-15

ب. تغير العلامة.....19-18

7. مآخذ على اعتباطية العلامة اللغوية.....29-20

الفصل الثاني: مباحث العلامة اللغوية في كتاب الخصائص

1. التعريف بابن جني.....31

2. تقديم كتاب الخصائص.....32-34

3. المسائل اللغوية في الخصائص.....35

أ. الفرق بين القول والكلام.....35

ب. الإعراب والبناء عند ابن جني..... 36-37

4. نشأة اللغة عند ابن جني..... 37-40

5. حد اللغة عند ابن جني.....41

6. مناسبة الألفاظ المعاني.....42

7. تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.....42-43

أ- نماذج عن تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.....43-48

خـــــاتـمـة.....51

مـكتبـة البـحث.....55

الـفـــهـــرس.....58